الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص: تفسير و علوم القرآن

موسومة:

أسس حفظ وحدة الأمة في القرآن الكريم وثمراتها

-دراسة تحليلية -

إشراف الأستاذ:	إعداد الطالب:
أ. عبد القادر طهراوي	✍ أحمد عمورة

السنة الجامعية: 1435-1436ه/2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

- إلى من وضعتني وهنا على وهن وسهرت الليالي من أجلي...أمي الحنون
- إلى من كدّ و اجتهد حتى اشتد ساعدي...أبي الرحيم
- إلى سماحة العلامة المجاهد محمد الطاهر آيت علجت حفظه الله وأطال في عمره و نفعنا بعلمه .
- إلى إخوتي الأعزاء.
- إلى روح جدتي رحمها الله.
- إلى أصدقائي الأوفياء...
- إلى كل من مدّ لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد...
- إلى كلّ طالب علم يسعى لخدمة الإسلام والمسلمين...

أهدي هذا العمل

شكر و تقدير

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده و بعد..

أشكر الله تعالى على توفيقه و امتنانه علي لإتمام هذا العمل وأسأله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

كما أتوجه بشكري إلى قسم العلوم الإسلامية بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان وكافة الأساتذة والموظفين على المجهودات التي بذلوها طيلة فترة الدراسة.

وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف عبد القادر طهراوي الذي قبل الإشراف على هذه المذكرة و لم يبخل عليّ بالنصح والإرشاد والتوجيه، فله مني خالص الشكر والاحترام.

كما لا أنسى بالشكر اللجنة الموقرة على قبولها المناقشة.

وأشكر الإخوة عبد الرؤوف وهشام وعبد الحفيظ وعيسى وباقي الأصدقاء على كل ما قدموه لي.

كما أشكر موظفي المجلس الإسلامي الأعلى خاصة المكتبيات على طيب المعاملة طيلة فترة إعداد المذكرة.

وأخيرا أشكر كل من قدم لي يد المساعدة لإتمام هذا البحث ولو بكلمة طيبة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله و صحبه ومن والاه.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله واسع العطاء، دائم البقاء، كاشف البلاء، كثير النعماء، خالق الأرض و السماء، مرسل الأنبياء بكلمة التوحيد و وحدة الكلمة بعدما كان الناس في فرقة وشقاء، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء، وخير البشرية جمعاء، أرسله الله بالهدى ودين الحق فترك الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا الأشقياء، و بعد:

حوى القرآن الكريم مواضيع عديدة، و أحكاما سديدة، و قصصا مفيدة، و من أهم هذه المواضيع وحدة الأمة المسلمة ، الأمة التي شرفها الله بحمل رسالة الإسلام، و هداية القرآن الكريم ، فكانت منارة تهتدي بها سائر الأمم، كيف لا و قد وصفها الله بخير أمة أخرجت للناس، تدعو إلى الخير و تنهى عن سائر الشرور، أمة لم يتحقق لها وصف الخيرية إلا بعدما توحد أفرادها حول مرجعية واحدة هي الكتاب و السنة، فعاشت الأمة في أمن وسلام، و عزة و تمكين، ترفرف رايتها خفاقة بين الأمم، و لكن هيهات هيهات، فقد جرت سنة الله تعالى أن الأيام دول، و أن سنة الله لا تحابي أحدا، و أن الله لا يغير ما بالأقوام و الأمم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فحين بدلوا نعمة الوحدة بالشقاق عاقبهم تعالى بأن صاروا في ذيل الأمم لا يقام لهم وزن ، دأبهم الفرقة و النزاع، فهل يا ترى آن الأوان لتعود الأمة لرشدها، كما كان سلفها أمة واحدة، مترابطة، ومتآزرة، و مجتمعة على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟

هذا ما رمت معالجته في موضوع وحدة الأمة من خلال بيان أهم الأسس التي تناولها القرآن الكريم من أجل أن تحفظ الأمة وحدتها، و بيان أهم الثمرات التي تجنيها الأمة بهذه الوحدة، وكذا ذكر أهم آثار الفرقة، ووسمته: «**أسس حفظ وحدة ا لأمة في القرآن الكريم و ثمراتها"دراسة تحليلية"**»

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع للأسباب التالية:

1. الرغبة الذاتية في خدمة كتاب الله العزيز.
2. الواقع الذي تعيشه الأمة من اختلاف و انقسام فقهي، وفكري، وعقدي، وسياسي، وسوء التعامل مع هذا الاختلاف، وما أدى إليه من تناحر وفرقة، فاخترت البحث في هذا الموضوع من خلال هدايات القرآن الكريم الذي حث على اجتماع كلمة الأمة على القواسم المشتركة مع الإيمان بالاختلاف المحمود.
3. افتقار المكتبة الإسلامية إلى رسائل علمية تعالج مثل هذا الموضوع في ضوء القرآن الكريم، على الرغم من أهميته الواضحة .

إشكالية الموضوع:

يمكن تلخيص إشكالية الدراسة في الأسئلة التالية:

ما هو مفهوم وحدة الأمة؟ وما هي أسس حفظها ؟ وما هي ثمرات اجتماع الكلمة ؟ وما هي عواقب الفرقة والاختلاف؟ و كل ذلك على ضوء القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي :

1. تناول البحث لموضوع مهم من مواضيع القرآن الكريم وهو وحدة الأمة.
2. لا يمكن تنزل نصر الله تعالى على أمة مختلفة و متفرقة، و لا يمكن بناء حضارة إسلامية دون اجتماع الكلمة، وهو ما عالجته في ثنايا هذا البحث .

أهداف الموضوع:

1. إثراء مكتبة التفسير التحليلي.
2. إبراز مقصد وحدة الأمة في القرآن الكريم مع بيان أسس حفظها.
3. الإسهام في إخراج الأمة من حالة الاختلاف المذموم إلى الوحدة الجامعة- مع الإيمان بالاختلاف المحمود- لتؤدي رسالتها في الوجود.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتنقيب تبيّن لي - في حدود اطلاعي - عدم وجود رسالة أكاديمية في هذا الموضوع بهذا العنوان، إلا أنني وقفت على رسالتين أكاديميتين عن وحدة الأمة أقرب إلى مذكرتي وهما:

1) رسالة دكتوراه بعنوان: "منهج الكتاب و السنة في تحقيق الوحدة الإسلامية وأثره من الناحية التطبيقية" من إعداد الطالب محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري، جامعة أم القرى، 1410هـ.

فمن خلال الاطلاع على هذه المحاور تبين أن الرسالة حوت فعلا بعض أسس الوحدة ولكن يعوزها بيان كيف حفظت هذه الأسس وحدة الأمة وهو الأمر الذي تطرقت إليه في بحثي.

2) رسالة دكتوراه بعنوان: دور التربية الإسلامية في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية في ضوء التحدّيات المعاصرة من إعداد الطالب علي بن مثيب بن دغيم السبيعي، جامعة أم القرى، 1432هـ.

تبين لي من خلال هذه المحاور الملاحظات التالية:

- التركيز على أربعة أسس هي وحدة المرجعية و الوحدة الإيمانية والتربية الإسلامية والأفراد المؤمنون، دون الإشارة إلى دور هذه الأسس في حفظ وحدة الأمة.
- الإشارة إلى خطر الفرقة والاختلاف وعدم ذكر ثمرات الوحدة والتي ذكرت أهمها في بحثي.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهجين التاليين:

1. **المنهج الاستقرائي**: و ذلك بتتبّع الآيات التي تناولت موضوع البحث.
2. **المنهج التحليلي**: وذلك بتحليل هذه الآيات على ضوء ما كتبه المفسرون في القديم والحديث، باختلاف مدارسهم ومناهجهم.

منهجية البحث:

تتلخص منهجية فيما يلي:

1. قسمت البحث إلى مقدمة و مدخل عام و فصلين و مباحث و مطالب وخاتمة.
2. اعتمدت في حصر الآيات التي عالجت محاور الموضوع على كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد.
3. عزوت الأقوال لقائليها في الهامش وذلك بذكر اسم الكتاب ثم المؤلف فالمحقق إن وجد ثم دار النشر فبلدها فرقم الطبعة و تاريخها إن وجدا ثم الجزء و الصفحة، و هذا كله عند أول ذكر للمصدر، أما إذا تكرر اكتفيت بالكتاب و المؤلف، فالجزء و الصفحة.
4. نقلت الآيات القرآنية من مصحف التتريل برواية حفص عن عاصم، وعزوتها إلى سورها في الهامش .
5. خرجت الأحاديث من مظانها، فإن كان في الصحيحين اقتصرت عليهما أو على أحدهما، ذاكرا الكتاب و الباب و الرقم، أما إذا لم يرد الحديث فيهما فخرجته من كتب السنة الأخرى، فبدأت بالكتب الأربعة وهي: سنن ابن ماجه، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود وسنن النسائي، فإذا لم أجده فيها رجعت إلى موطأ مالك ومسند أحمد وسنن الدارمي، فإذا لم أجده فيها خرجته من أحد كتب السنة الباقية كمعجم الطبراي ومصنّف عبد الرزاق، واعتمدت على أحكام الشيخ الألباني في بيان درجة الحديث.

6. ترجمت لأعلام التفسير الواردة أسماؤهم في المتن ترجمة موجزة محيلا على مصدر الترجمة لمن أراد المزيد .
7. ختمت البحث بمجموعة من الفهارس العامة ترشد القارئ إلى معرفة مضامين الرسالة بسهولة و يسر.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة و مدخل عام و فصلين و خاتمة على النحو التالي:

تضمنت المقدمة العناصر المنهجية في البحوث الأكاديمية، أما صلب البحث فقدمت له بمدخل عام ضبطت فيه مصطلحات العنوان، أما الفصل الأول فعنونته بأسس حفظ وحدة الأمة وتناولت في مبحثه الأول أسس المرجعية واندرجت تحته وحدة العقيدة و وحدة الشريعة و وحدة القيم الخلقية، أما المبحث الثاني فتناولت فيه أسس الجماعة المسلمة و اندرجت تحته الأخوة الإيمانية والتعاون على البر و التقوى و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، أما المبحث الثالث فخصصته لأسس الانتماء للأمة و تناولت فيه وحدة اللسان و وحدة أداء العبادات الجماعية و وحدة الغاية، أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن ثمرات الوحدة و آثار التنازع فأدرجت في المبحث الأول ثلاث ثمرات للوحدة و أدرجت في المبحث الثاني ثلاث آثار للتنازع، أما الخاتمة فحوت على أهم النتائج التي توصلت إليها وكذا آفاق البحث.

صعوبات البحث:

1. تشعب عناصر الموضوع نظرا لسعته.
2. قلة التفاسير التي تناولت الموضوع بإسهاب.
3. تناثر عناصر البحث في كتب الفكر الإسلامي.

وختاما أحمد الله تعالى على توفيقه لإتمام هذا البحث فما كان من صواب فيه فمن الله وحده ثم بمعونة من الأستاذ المشرف جزاه كل خير، وما كان فيه من سهو أو خطأ أو نسيان فمني .

✍ كتبه أحمد سعيد عمورة

الجزائر العاصمة

عشية يوم الأحد 22 ذو القعدة 1436هـ

الموافق ل 06 سبتمبر 2015م

﴿مدخل عام﴾

ضبط المصطلحات

- ❖ المبحث الأول: تعريف الأسس
  - المطلب الأول: لغة
  - المطلب الثاني: اصطلاحا
- ❖ المبحث الثاني: تعريف الحفظ
  - المطلب الأول: لغة
  - المطلب الثاني: اصطلاحا
- ❖ المبحث الثالث: تعريف وحدة الأمة
  - المطلب الأول: تعريف الوحدة لغة و اصطلاحا
  - المطلب الثاني: تعريف الأمة لغة و اصطلاحا
  - المطلب الثالث: تعريفهما كمركب إضافي

المبحث الأول: تعريف الأسس

المطلب الأول: لغة

أَسَّ: الهمزة و السين يدل على الأصل والشيء الوطيد الثابت، فالأُسُّ أصل البناء وجمعه آساس، ويقال للواحد: أساس بقصر الألف والجمع أُسس(1)، والأسيس أصل كل شيء، و أُسّ الإنسان: قلبه لأنه أول متكون في الرحم، وهو من الأسماء المشتركة، و أُسّ البناء: مبتدؤه...أسّست دارا إذا بنيت حدودها و رفعت من قواعدها.(2)

و مما سبق يتضح أن الأُسّ أو الأساس في اللغة هو أصل كل شيء.

المطلب الثاني: اصطلاحا

الأساس: القاعدة التي يبني عليها(3)، ومرتكز البناء و قاعدته(4)، والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للفظة الأساس و الأُسّ هو مرتكز البناء وأصله الذي يبنى عليه.

المبحث الثاني: تعريف الحفظ

المطلب الأول: لغة

الحفظ: نقيض النسيان، و هو التعاهد وقلة الغفلة، والحفيظ: الموكل بالشيء يحفظه... والتحفظ: قلة الغفلة حذرا من السقطة في الكلام والأمور(5).

قال ابن فارس: "(حفظ)، الحاء و الفاء والظاء أصل واحد يدل على مراعاة الشيء. يقال حفظت الشيء حفظا. و الغضب: الحفيظة، وذلك أن تلك الحالة تدعو إلى مراعاة الشيء"(6).

---

(1)- مقاييس اللغة لابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1399هـ، (14/1).

(2)- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ، (6/6)

(3) - التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ، ص 47 .

(4)- معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ، (92/1).

(5) - العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار و مكتبة الهلال، د.ط، د.ت، (198/3)

(6) - مقاييس اللغة لابن فارس، (87/2).

وجاء في مختار الصحاح: " حفظ الشيء بالكسر حفظا حرسه وحفظه أيضا استظهره... والمحافظة: المراقبة... ويقال أحتفظ بهذا الشيء أي أحفظه"(1)

وعليه فإن معاني الحفظ اللغوية تدور حول:

1. نقيض النسيان.
2. التعاهد.
3. قلة الغفلة.
4. مراعاة الشيء.
5. الحراسة.
6. المراقبة.

المطلب الثاني: اصطلاحا

من التعاريف الاصطلاحية للحفظ ما يلي:

1) قال الراغب الأصفهاني: "الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم، وتارة لضبط الشيء في النفس، ويضاده النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة، فيقال: حفظت كذا حفظا، ثم يستعمل في كل تفقد و تعقد و رعاية"(2).

2) جاء في معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم:" الحفظ هو المواظبة على مراعاة الشيء و قلة الغفلة عنه"(3).

ومنه يلتقي كل من المعنى اللغوي و المعنى الاصطلاحي للحفظ في معاني التفقد و التعهد والرعاية و الحراسة، وهي المعاني المرادة في الموضوع.

---

(1)- مختار الصحاح لزين الدين الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية- بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ، (76/1).

(2)- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ، ص 244

(3)- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم لجلال الدين السيوطي تح: محمد إبراهيم عبادة،مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ، ص 200

المبحث الثالث: تعريف وحدة الأمة

المطلب الأول: تعريف الوحدة

الفرع 1: لغة.

(وحد) الواو و الحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد من ذلك الوحدة،وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله(1)، و العرب تقول: أنتم حي واحد وحي واحدون(2).

وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى، و لا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز و جل (3).

مما سبق يتضح أن لفظ (وحد) تندرج تحته ثلاثة معان لغوية:

1- الإنفراد.

2- الجمع.

3- عدم التجزئة و عدم الانقسام.

الفرع 2: اصطلاحا

الوحدة: كون الشيء بحيث لا ينقسم، و تطلق و يراد بها عدم التجزئة والانقسام و يكثر إطلاق الأحد و الفرد بهذا المعنى(4).

و عليه فإن كلا المعنيين اللغوي و الاصطلاحي للفظة الوحدة يجمعهما معنى واحد هو عدم التجزئة و عدم الانقسام، وهو المعنى المراد في هذا البحث.

---

(1)- مقاييس اللغة لابن فارس، (90/6) .

(2)- لسان العرب لابن منظور، (448/3) .

(3)- المصدر نفسه، (451/3) .

(4)- الكليات لأبي البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت، ص 931 .

المطلب الثاني: تعريف الأمة

الفرع 1: لغة

(الأمة) الجماعة، هو في اللفظ واحد و في المعنى جمع، وكل جنس من الحيوان أمة. و(الأمة) الطريقة والدين، يقال فلان لا أمة له أي لا دين له و لا نحلة(1).

فلفظ الأمة في اللغة تندرج تحته ثلاثة معان:

1- الجماعة من الناس.
2- كل جنس من الحيوان.
3- الدين و الملة.

الفرع 2: اصطلاحا

الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر تسخيرا أو اختيارا.(2)

ومعناه انتماء جماعة ما إما لدين واحد، أو لزمان واحد، أو لمكان واحد قهرا(3)، أو انتماؤها لواحد من هذه العناصر الثلاثة طوعا(4) .

جاء في كتاب الوجوه والنظائر لأبي الهلال العسكري أنّ الأمة راجعة إلى القصد، وهي الجماعة التي تقصد الأمر بتضافر وتعاون، و إذا قيل: أمة محمد صلى الله عليه و سلم معناه: الجماعة القاصدة لتصديقه، المتفقة في أصول دينه و إن اختلفت في الفروع... و هي في القرآن على عشرة أوجه:

أولها: الجماعة، قال تعالى: "ومن قوم موسى أمة ".

الثاني: الملة، قال تعالى: " كان الناس أمة واحدة " يعني أهل ملة واحدة.

الثالث: أهل الإسلام بعينه، قال تعالى: " ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ".

الرابع: الملة بعينها، قال تعالى: " إن هذه أمتكم أمة واحدة ".

الخامس: الحين، قال تعالى:" وادكر بعد أمة ".

---

(1)- ينظر: مختار الصحاح لزين الدين الرازي، ص 22.

(2)- المفردات للراغب الأصفهاني، ص 86.

(3)- ينظر: المصدر نفسه، ص402.

(4)- ينظر: المصدر نفسه، ص 301، 302

السادس: القوم، قال تعالى: " أن تكون أمة هي أربى من أمة ".

السابع: الإمام، قال تعالى: " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله ".

الثامن: أمة كل رسول، قال تعالى: " ما تسبق من أمة أجلها".

التاسع: أمة محمد صلى الله عليه و سلم، قال تعالى: " كنتم خير أمة أخرجت للناس ".

العاشر: الكفار من أمة محمد صلى الله عليه و سلم، قال تعالى:" كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها (1).

وبعد هذا العرض لمعنى الأمة في اللغة و اصطلاح علوم القرآن وفي سياقات القرآن الكريم تبين أن المعنى المشترك بينها هو الجماعة التي تدين بدين واحد وهي أمة الإسلام المجتمعة على أصول واحدة و إن اختلفت في الفروع، وهو المعنى المراد في هذا البحث.

المطلب الثالث: تعريفهما كمركب إضافي

بعد تعريف كل من لفظي "الوحدة والأمة" لغة واصطلاحا، يجدر بنا تعريفهما كمركب إضافي، وقد عرفها أبو البقاء الكفوي انطلاقا من السياق القرآني" أمتكم أمة واحدة " بقوله: " ملتكم ملة واحدة أي: متحدة في العقائد و أصول الشرائع، أو جماعتكم جماعة واحدة أي: متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة"(2).

---

(1)- ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ، ص 32 -35.

(2)- الكليات لأبي البقاء الكفوي، ص188.

كما عرفها محمد رشيد رضا(1) بقوله: " هي أمة تربطها رابطة قريبة هي رابطة الاهتداء بنور الله وا لدعوة إلى توحيده و القيام على شرعه و حمل الناس على إتباع أحكامه فهي مجتمعة على أمر واحد لا تعدد فيه هو الحق و العدل، فهي جديرة بأن تكون أمة واحدة "(2).

أغفل كلا التعريفين الاختلاف في الفروع المبني على الحجة والبرهان، و منه أقترح التعريف التالي لوحدة الأمة: هي الجماعة المتفقة في أصول الدين و قواعده الكلية ومقاصده العامة، مع الاختلاف في الفروع القائم على الحجة والبرهان.

---

(1)- هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني المولد و النشأة، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد سنة 1282هـ، من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، من أشهر آثاره: مجلة المنار، وتفسير القرآن الكريم و لم يكمله، الوحي المحمدي، توفي بمصر سنة 1354هـ. ينظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 1423هـ، (127،126/6).

(2)- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، 1411هـ، (2/ 223).

﴿الفصل الأول﴾

أسس حفظ وحدة الأمة

- ❖ المبحث الأول: أسس المرجعية
  - المطلب الأول: وحدة العقيدة
  - المطلب الثاني: وحدة الشريعة
  - المطلب الثالث: وحدة القيم الخلقية
- ❖ المبحث الثاني: أسس الجماعة المسلمة
  - المطلب الأول: الأخوة الإيمانية
  - المطلب الثاني: التعاون على البر والتقوى
  - المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ❖ المبحث الثالث: أسس الانتماء للأمة
  - المطلب الأول: وحدة اللسان
  - المطلب الثاني: وحدة أداء العبادات الجماعية
  - المطلب الثالث: وحدة الغاية

لم يقف كتاب الله تعالى في سبيل تكليف الأمة المسلمة بالخلافة و عمارة الأرض بالحث على وحدة الكلمة، بل بين لها الأسس التي تحفظ لها هذه الوحدة، أسس قررها القرآن الكريم في العديد من الآيات، فأكد على أنها أمة واحدة تعبد إله واحدا وتتبع رسولا واحدا، وتعمل بكتاب واحد، وتتجه لقبلة واحدة، فالأمة في ظل هذه الأسس لا يتصور تفرقها و اختلافها في هذه الأصول وهي تحتكم لمرجعية واحدة، فإذا اختلفت وتعددت هذه المرجعية كان ذلك مؤشرا لانهيار صرح هذه الوحدة.

وإلى جانب هذه الأسس المرجعية هنالك أسس أخرى تدعم ركائز هذه الوحدة وهي أسس الجماعة المتمثلة في الأخوة الإيمانية والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أسس هذه الوحدة كذلك شعور أفراد الأمة الإسلامية بالانتماء الوجداني إلى بعضهم البعض بأدائهم للشعائر والعبادات في شكل جماعي كالصلاة والحج والمواساة فيما بينهم عن طريق الزكاة والصدقات، كما يدعم هذه الرابطة الشعورية وحدة اللسان في الصلاة وتلاوة القرآن وسائر العبادات، ويعزز كذلك هذا الانتماء تحقيق الأمة للغاية السامية التي وجد من أجلها الخلق وهي عبودية الله عز وجل.

المبحث الأول: أسس المرجعية.

جاء الإسلام لينظم الحياة بجميع جوانبها، فهو نظام يشمل العقيدة والشريعة والمبادئ الخلقية، وبما أن مصدر هذا النظام المتكامل واحد فلا بد أن تكون المرجعية الواحدة هي الوحي ، وهو ما يؤكد التفاف هذه الأمة حول هذه المرجعية من أجل حماية كيانها من عوامل التفرق والنزاع.

المطلب الأول: وحدة العقيدة.

كل أمة في هذا العالم لها نظرة خاصة في الوجود، أما بالنسبة للأمة الإسلامية فلها نظرة تختلف عن باقي الأمم لأنها تعتقد أن لهذا الكون خالقا مدبرا مسيرا، هذه العقيدة تحدد مفهوم الوجود بناء على علاقة بين الخالق والمخلوق أساسها العبودية والاستسلام لله تعالى(1).

يقول تعالى مشيرا إلى أصول العقيدة الإسلامية ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا**

---

(1)- نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع لمصطفى ديب البغا، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1418هـ، ص 17.

وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(1)، فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، و لا رب سواه، و يصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المترلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض و يكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبل الخير،و ذكرت في الآية أربع مراتب من أصول الدين وضرورياته وهي الإيمان بوجود الله و وحدانيته، و بوجود الملائكة وسفارهم بين الله والرسل يترلون بوحيه على قلوب أنبيائه، إنه الإيمان الشامل الذي جاء به هذا الدين الإيمان الذي يليق بهذه الأمة الوراثة لدين الله، القائمة على دعوته في الأرض إلى يوم القيامة، وليس هناك شركاء في العبادة يتجه إليهم المؤمنون، لا عبادة الشعائر ولا عبادة الخضوع والدينونة، فلا عبادة إلا لله، ولا طاعة إلا لله ولمن يعمل بأمره و شرعه، فيتلقى سلطانه من هذا المصدر الذي لا سلطان إلا منه(2).

إن وحدة مصدر الاعتقاد صمام أمان ضد عوامل تفكك وحدة الأمة، و ما أشارت إليه الآية من فعل اليهود و النصارى في التفريق بين أنبياء الله و رسله فيه موعظة و إرشاد لأمة النبي صلى الله عليه و سلم في التمسك بما جاء به القرآن من أصول الاعتقاد التي أقرها جمع الأنبياء.

ويقول تعالى- مؤكدا للأمة أنه الرب الواحد المعبود-: ﴿ **إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾**(3) أي هذه أمتكم ما دامت أمة واحدة واجتمعتم على التوحيد فإذا تفرقتم وخالفتم فليس من خالف الحق من جملة أهل الدين الحق، هذه الملة القائمة على التوحيد والاستسلام لمعبود واحد لا شريك له، يجب أن تحافظ الأمة على حدودها وتراعي حقوقها، إن الأمة التي تدين بعقيدة واحدة وتنهج نهجا واحدا، هو الاتجاه إلى الله دون سواه، أمة واحدة في الأرض، ورب واحد في السماء، لا إله غيره ولا معبود إلا إياه، أمة واحدة وفق سنة واحدة، تشهد بالإرادة الواحدة في الأرض و السماء(4).

---

(1)- البقرة: 285.

(2)- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تح: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، 1420هـ، (736/1)، و فتح البيان لمحمد صديق خان، راجعه عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ط، 1412هـ، (161/2)، و تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1365هـ، (84/3)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ، (340/1، 341).

(3)- الأنبياء: 92.

(4)- ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تح: أحمد البردوني و إبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية،القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ، (339/11)، ومحاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ، (221/7)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، (4/ 2396).

إن التصور الإسلامي أو التوحيد يكفل تجمع الشخصية والطاقة في كيان الفرد السليم والجماعة المسلمة، و ينفي التمزق و الانفصام و التبدد، التي تسببها العقائد و التصورات الأخرى، هذه العقيدة التي منبعها كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم في كل أصل من أصولها تتميز عن عقائد أهل الفرق والضلال، فأهل السنة لا يختلفون في أصل من أصول الدين، فقولهم مثلا في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وإنما كان اختلافهم في فروع المسائل الملحقة بالعقيدة كمسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في المعراج، هل كانت يقظة أو مناما، و مسألة رؤية الله عز و جل في المنام، و مسألة ابن صياد هل هو الدجال الذي يخرج في أخر الزمان، وغير ذلك من المسائل التي لا تفرق شمل الأمة الواحدة، بل هي من اختلاف التنوع المشروع، أما الفرق الضالة فاختلفت مع أهل السنة في الأصول أو بعضها، بل إن منتسبيها لا يتفقون على أصول واحدة فيما بينهم(1).

إن العقيدة التي تنتمي إليها أمة الإسلام عقيدة واحدة في أصولها والا ختلاف في فروعها لا ينبغي أن يؤدي إلى الفرقة و الشتات، بل هو من الاختلاف المحمود الذي يفتح باب الاجتهاد ويعمل على إثراء التراث الإسلامي.

المطلب الثاني: وحدة الشريعة.

حدد الإسلام الأحكام التفصيلية للشريعة في العبادات والمعاملات والقضاء و العلاقات الدولية، فقد جاءت الشريعة رحمة للعباد، و فصلا بينهم فيما يختلفون فيه، ومحافظة عليهم فيما هم محتاجون إليه، منظمة بذلك شؤونهم الخاصة و العامة (2)، فلا خلاف في كون مصدر التشريع واحدا عند جميع المسلمين وهو القرآن الكريم و السنة النبوية،وهو مرجعهم عند التنازع، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾(3).

---

(1)- ينظر: نظام الإسلام في العقيدة و الأخلاق و التشريع لمصطفى ديب البغا، ص 106، و كيف تستعيد الأمة مكانتها من جديد لعمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية، 1414هـ، ص 69. و عقيدة أهل السنة والجماعة - مفهومها وخصائصها وخصائص أهلها - لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الثانية، 1419هـ، ص 76

(2)- ينظر التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان لمحمد فهمي علي أبو الصفا، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة،العدد الأول، جمادى الثانية، 1397هـ، ص 107

(3)- النساء: 59.

قوله: "فإن تنازعتم" أي: اختلفتم، في شيء من أمر دينكم، و التنازع: اختلاف الآراء و أصله من النزع فكان المتنازعان يتجاذبان ويتمانعان، فردوه إلى الله و الرسول- أي إلى كتاب الله وإلى رسوله- مادام حيا و بعد وفاته إلى سنته، و الرد إلى الكتاب و السنة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد، قوله:" ذلك خير و أحسن تأويلا " أي: مرجعا من الأول: آل يؤول إلى كذا أي: صار إليه والمعنى: أن ذلك الرد خير لكم و أحسن مرجعا ترجعون إليه و يجوز أن يكون المعنى: أن الرد أحسن تأويلا من تأويلكم الذي صرتم إليه عند التنازع، فبيّن الله عز و جل أن الواجب عند التنازع هو عرض المسائل المتنازع فيها على كتاب الله و سنة رسوله وما فيهما من القواعد العامة، فما كان موافقا لهما علم أنه صالح لنا، ووجب الأخذ به، وما كان منافيا علم أنه غير صالح و وجب تركه، و بذلك يزول التنازع وتجتمع الكلمة، وألا يفضي التنازع إلى اختلاف التفرق الذي يلبس المسلمين شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض، و لكنهم لم يعملوا بالآية فتفرقوا و اختلفوا، إن رد النزاع في أمر ما إلى حكم الله و رسوله أمر واجب على المؤمنين، لأن الله سبحانه و تعالى هو وليهم جميعا، وكانت شريعته لهم هي الدستور الواجب إتباعه والاحتكام إليه فيما يقع بينهم من خلاف فمن كان مؤمنا بالله واليوم الآخر استقام على شرع الله، و وقف عند حدوده، و خضع لحكمه، و الرجوع عند الخلاف إلى ما قضى به كتاب الله وسنة رسوله، هو الطريق المأمون الذي يسلم المختلفين إلى يد الوفاق والسلام، حيث كان احتكامهم إلى أحكم الحاكمين، الذي يحكم بين عباده بالحق، فلا ميل مع هوى و لا محاباة لكبير أو عظيم لأن الخلق خلقه والناس عبيده، لا تفاضل بينهم عنده إلا بالتقوى(1).

و مما ينبغي التنبيه إليه أن الاختلاف الذي يحصل عند التنازع له ضربان: ضرب منهي عنه، وضرب يعد من الاختلاف المحمود و يبين القرطبي(2) هذين الضربين عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ**

---

(1)- ينظر: معالم التتريل في تفسير القرآن للبغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ، (654/1)، و فتح القدير للشوكاني، دار ابن كثير دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ، (556/1)، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1410هـ، (148/5)، و التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، (822/3، 823).

(2)- هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر من العلماء العارفين الورعين، من أشهر مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن و الأسنى في أسماء الله الحسنى و التذكار في أفضل الأذكار و التذكرة بأمور الآخرة و قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة، توفي بمصر سنة 671هـ. ينظر: الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب لابن فرحون اليعمري، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت، (308/2، 309).

اللَّـــهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(1) حيث قال:" وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع ، فإن ذلك ليس اختلاف إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقيق معاني الشرع، و مازال الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متآلفون، و إنما منع الله اختلافا هو سبب الفساد" (2).

وتحدث ابن العربي(3) عن مسألة الاختلاف بقوله:" ترك التخطئة في الفروع و التبري فيها، وليمض كل أحد على اجتهاده، فإن كل بحبل الله معتصم، و بدليله عامل، قد قال صلى الله عليه وسلم: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريضة»(4) فمنهم من حضرت العصر فأخرها حتى بلغ بني قريضة أخذا بظاهر قول النبي صلى الله عليه و سلم، و منهم من قال لم يرد هذا منا، وإنما أراد الاستعجال فلم يعنف النبي عليه السلام أحدا منهم، والحكمة في ذلك أن الاختلاف والتفرق المنهي عنه إنما هو المؤدي إلى الفتنة، والتعصب وتشتيت الجماعة، وأما الاختلاف في الفروع فهو من محاسن الشريعة.(5)

إن الاختلاف القائم بين المذاهب ينبغي أن يكون اختلافا مبنيا على الحجة والبرهان لا على الأهواء والظنون والتقليد بغير دليل، قال ابن تيمية- في سياق الحث على التمسك بالنص الثابت من الكتاب والسنة والإجماع والإعراض عن إتباع الأهواء والظنون بغرض الاختلاف والتفرق-:" فالواجب على المسلم أن يلزم سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سنة خلفائه الراشدين والسابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل

---

(1)- آل عمران: 103.

(2)- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (159/4).

(3)- هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الاشبيلي الأندلسي المعروف بابن العربي، ولد سنة 468هـ بإشبيليا، الإمام الحافظ الفقيه المفسر، من تصانيفه: أحكام القرآن، المسالك في شرح موطأ مالك، المحصول، سراج المريدين، توفي سنة 543هـ بمراكش و دفن بفاس. ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون (252/2، 254)،و تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ، (62/4).

(4)- أخرجه البخاري في أبواب صلاة الخوف، باب صلاة والمطلوب راكبا و إيماء، رقم 946، وفي كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب و مخرجه إلى بني قريضة و محاصرته إياهم، رقم 4119، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ، و أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة للغزو، رقم 1770، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، و الحديث مروي عن ابن عمر و تتمته (فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منّا ذلك، فذكر للنبي صلى الله عليه و سلم، فلم يعنف واحد منهم).

(5)- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، مراجعة وتعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424هـ، (381/1، 382).

النزاع بالعلم والعدل وإلا استمسك بالجمل الثابتة والإجماع وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن إتباع الظن و ما تهوى الأنفس و لقد جاءهم من ربهم الهدى⁽¹⁾.

يعدّ أساس وحدة مصدر التشريع دعامة من دعائم حفظ وحدة الأمة من الاختلاف المفضي إلى النزاع و الفرقة والشتات، والاختلاف المقصود هنا هو الاختلاف المبني على التعصب والتقليد وإتباع الهوى وليس الاختلاف المبني على الحجة و البرهان، فإن هذا الأخير من شأنه إثراء التراث الإسلامي وفتح باب الاجتهاد، و يضاف إلى ذلك أن اختلاف الأئمة فيه رحمة و تيسير لعموم الأمة.

المطلب الثالث: وحدة القيم الخلقية.

أكد القرآن الكريم في آيات عديدة على جملة من الأخلاق والقيم وحث المجتمع المسلم على التحلي بها والتواصي بها والصبر عليها، كيف لا وهي بمثابة الروح والجوهر في جسم الأمة، فإذا خرجت هذه الروح بقي الجسم بلا قيمة.

و يرشدنا نبينا عليه الصلاة و السلام إلى أن عمود الرسالة هو إتمام مكارم الأخلاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"⁽²⁾، ومدح الله عز وجل رسوله الكريم وشرفه بالأخلاق الفاضلة حين قال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾⁽³⁾.

والقرآن الكريم حافل بذكر هذه الأخلاق والقيم السامية، ولقد وردت أصول هذه الأخلاق في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾⁽⁴⁾ ، لقد جاء القرآن لينشئ أمة و ينظم مجتمعا ثم لينشئ عالما و يقيم

---

(1)- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ، (463/6).

(2)- أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة، من مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم 8952، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، و آخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ، قال الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم 45، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى،ج 1،4- 1415هـ، ج 6 - 1416هـ، ج 7- 1422هـ.

(3)- القلم: 04.

(4)- النحل: 90.

نظاما، جاء دعوة عالمية، إنسانية،ومن ثم جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات، واطمئنان الأفراد والأمم والشعوب، جاء بالعدل الذي يكفل لكل فرد و لكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب والغنى والفقر، القوة والضعف، إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع و تزن بميزان واحد للجميع(1)، ذلك الميزان هو الكفاءة و التقوى و الإخلاص و غيرها من القيم دون النظر البتة إلى اعتبارات الجنس أو اللون أو القرابة و ثاني الأشياء الأساسية في العدل هو المساواة في الحقوق التي يحصل عليها الأفراد، دون أن تمنح لبعض و تحجب عن البعض الآخر، و كذلك المساواة في الواجبات التي يكلف بها كل فرد، دون أن يعفى منها أفراد آخرين، إن العدل القائم على هذه الأسس حري به أن يحفظ كيان المجتمع من التمزق والشتات، و تحقيقها يورث في النفوس الرضا المفضي إلى تعزيز روح الانتماء إلى مجتمع واحد، ودافع نحو التكافل والتآزر بين فئات المجتمع، و غياب هذه الأسس يورث في النفوس الحقد و الضغينة و العداوة والشعور بالظلم، وكل هذا يؤدي إلى نقض عرى المجتمع عروة عروة، وفي النهاية تؤدي إلى الزهد في الانتماء إلى هذا المجتمع الذي يعاني من أمراض الظلم و الطغيان(2)، ولذلك فإن وحدة الأمة تدور مع قيمة العدل وجودا وعدما.

و يقابل العدل قيمة الإحسان الذي يلطف من حدة العدل الصارم، لمن يريد التسامح في بعض حقه إيثارا لود القلوب، و شفاءا لغل الصدور و هو أوسع مدلولا لأنه يشمل الحياة كلها في علاقة العبد بربه، و علاقة بأسرته، وعلاقته بالجماعة، و علاقته بالبشرية جميعا، ومن الإحسان إيتاء ذي القربى، و إنما يبرز الأمر به تعظيما لشأنه و توكيدا عليه الذي يبنيه على مبدأ التكافل الذي يتدرج به الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العام(3).

إنّ قيمة الإحسان من شأنها توطيد العلاقات بين أفراد المجتمع، لأنها تساهم في تعزيز مبدأ التكافل الاجتماعي القائم على التعاون و مد يد المساعدة إلى الضعفاء والمحتاجين، هذا التكافل يربط الأواصر و يشفي الغل الذي في الصدور، فيعيش المجتمع متحدا متماسكا يواجه شتى الأزمات التي تمر به.

---

(1)- ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، (2190/4) .

(2)- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة لعبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1427هـ، (ص 173، 174).

(3)- المصدر السابق، (2190/4).

ومن القيم التي حض عليها الإسلام قيمة الوفاء بالعهود، يقول تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّـهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّـهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾(1).

لقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود، فلم يتسامح فيها أبدا، لأنها قاعدة الثقة التي ينفرط بدونها عقد الجماعة و يتهدم، والإسلام لا يقر تعاهدا ولا تعاونا على غير البر و التقوى، ولا يسمح بقيام تعاهد أو تعاون على الإثم والفسوق والعصيان، و أكل حقوق الناس واستغلال الدول والشعوب وعلى هذا الأساس قام بناء الجماعة الإسلامية وبناء الدولة الإسلامية (2)، فقيمة الوفاء بالعهد من شأنها حفظ كيان المجتمع وتعزيز الثقة بين أفراده وفقد هذه القيمة يعرض المجتمع إلى التفكك و التنازع وبالتالي ينفرط عقد الوحدة.

ويؤكد القرآن الكريم على مسألة تزكية النفوس بالأخلاق الفاضلة في قوله تعالى:﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾(3). فقد جاء القرآن بالتهذيب المطهر من سفساف الأخلاق وقبائح العادات والمعاصي التي كانت فاشية في العرب و قد زكاهم النبي صلى الله عليه و سلم باقتدائهم بأخلاقه العظيمة في عباداته الكاملة وآدابه العالية، وجمعهم بعد تلك الفرقة، و ألف الله بينهم على يديه حتى صاروا كرجل واحد، وجعلت شريعته ذمتهم واحدة يسعى بها أدناهم، فإذا أعطى مولى أو رقيق لهم أمانا لأي إنسان محارب كان ذلك كتأمين أمير المؤمنين له، فأي تزكية أعلى من هذه التزكية(4)، فلنتأمل كيف حققت الأخلاق السامية وحدة الأمة في مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم.

لقد أمر القرآن الكريم بالأخلاق الفاضلة في آيات عديدة ونهى بالمقابل في آيات أخرى عن مساوئ الأخلاق التي تعمل على فك الروابط الاجتماعية بين الأفراد نتيجة لانتشار الحقد والكراهية والعداوة والبغضاء في المجتمع الإسلامي.

يقول تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ**

---

(1)- النحل: 91.

(2)-في ظلال القرآن لسيد قطب، (2191/4).

(3)- البقرة: 151.

(4)- تفسير المنار لرشيد رضا (23/2).

الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(1).

إنّ المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع و الانحراف عن هذا الأدب بالسخرية واللمز بمعنى العيب، والتنابز معناه المناداة بالألقاب التي يكرهها أصحابها أو وصفهم بوصف ذميم كل ذلك من شأنه تفكيك الشعور بالأخوة الإيمانية بين الأفراد، فالآية تحذر المؤمنين من فقدان هذا الشعور، وبذلك تضع قواعد الأدب النفسي لذلك المجتمع الفاضل، كما تأمر الآية باجتناب كثير من الظن، فلا يتركوا نفوسهم نهبا لكل ما يهجس فيها حول الآخرين من ظنون و شبهات و شكوك، وبهذا تطهر القلوب و تزكو النفوس فتصبح بيضاء نقية لا يخدشها ظن السوء و لا تلوثها الشكوك، ومطمئنة لا يعكرها القلق والتوقع، ويقدم القرآن ضمانات أخرى ليعيش الناس آمنين على أنفسهم، و بيوتهم وأسرارهم و عوراتهم وذلك من خلال النهي عن التجسس بتتبع عورات الآخرين و كشف أسرارهم(2)، و بذلك يعيش أفراد المجتمع في مودة وألفة وأخوة وهذا ما يعزز و يحفظ وحدتهم.

بعد ذلك يأتي النهي عن الغيبة، بحيث يصور القرآن فضاعة وبشاعة هذا الخلق الذميم بمشهد الأخ يأكل لحم أخيه، وذلك من أجل إثارة المشاعر لاستنكار هذا الفعل الشنيع(3)، كما أوضحت السنة معنى الغيبة بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:" أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته(4)" (5)، و نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن جملة من الأخلاق السيئة التي تبث روح العداوة والبغضاء و الحقد و الكراهية بين المسلمين والتي تهدد وحدتهم و تعكر صفو أخوتهم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم

---

(1)- الحجرات: 11، 12.

(2)- في ظلال القرآن لسيد قطب، (3346/6).

(3)- المصدر نفسه، (3347/6).

(4)- بهته: البهتان هو الباطل وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه، ينظر: صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت (2001/4).

(5)- أخرجه مسلم في كتاب البر و الصلة و الآداب، باب تحريم الغيبة، رقم 2589.

والظن، فإن الظن أكذب الحديث و لا تحسسوا ولا تجسسوا، و لا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا»(1).

والحق أن المتأمل في النصوص السابقة يدرك ما لـلأخلاق الذميمة من أثر بليغ في تمزيق شمل المسلمين، وإيقاد نار الكراهية في الصدور، فلقد بلغت الأخلاق في الإسلام مبلغا من الرقي العظيم جعلها في مركز القمة بما اشتملت عليه من تفصيلات موثقة للروابط الاجتماعية بين الأفراد، و مؤثرة تأثيرا عميقا في تغذية وحدة الجماعة المسلمة و تنمية روابط المودة و الإخاء بين المسلمين(2).

و لن يصلح حال الأمة إلا بما صلح به سلفها من تمسكهم بالأخلاق الفاضلة وابتعادهم عن ذميمها ومن ثم حفظت وحدتهم ومنعت فرقتهم.

المبحث الثاني: أسس الجماعة المسلمة

أقام الإسلام العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم على أساس من الروابط المتينة والمبادئ الخالدة، والمثل السامية، تجعل من هذا المجتمع وحدة قوية متماسكة، وأهم هذه الأسس الأخوة الإيمانية، و التعاون على البر و التقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الأول: الأخوة الإيمانية

لم يعتبر الإسلام رابطة الجنس أو اللون أو الوطن سببا قويا أو دعامة ثابتة و دعوة حقيقية في تكوين الأمة، فالإسلام سمى على كل هذه الروابط وجعل عقيدة التوحيد أنبل و أقدس و أعظم رباط يوحد بين قلوب المسلمين على اختلاف الديار و القوميات والأجناس، وكانت الأخوة الإيمانية أصدق تعبير عن هذه الوحدة المشتركة، و قد نص القرآن الكريم على آصرة الأخوة باعتبارها العلاقة التي تربط

---

(1)- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهي عن التحاسد و التدابر، وقوله تعالى: ومن شر حاسدا إذا حسد، رقم 6064، وباب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم، رقم،6066 وفي كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض، رقم 6724، و أخرجه مسلم في كتاب البر و الصلة و الآداب، باب تحريم الظن، و التجسس، و التنافس، و التناجش، و نحوها، رقم 2563، وفي باب تحريم ظلم المسلم، و خذله، و احتقاره، ودمه و عرضه، و ماله، رقم 2564.

(2)-ينظر: التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي،دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1419هـ ، (317/13). الأخلاق الإسلامية و أسسها لعبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، 1420هـ، (57/1).

بين المؤمنين(1)، فقال جل ذكره:﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾(2)، ومعنى الآية أن المؤمنين إذا كانوا متفقين في دينهم رجعوا باتفاقهم إلى أصل النسب لأنهم لآدم و حواء فإذا اختلفت أديانهم افترقوا في النسب و شبّهوا بالأخوة من حيث انتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية، و تخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة و الفساد فيه، وآخى النبي صلى الله عليه و سلم بين المهاجرين والأنصار حين وروده المدينة و ذلك إرساء لمبدأ الإخاء بين المسلمين، و لمّا كان المتعارف بين الناس أنه إذا نشبت مشاقة بين الأخوين لزم بقية الإخوة أن يتناهضوا في إزاحتها مشيا بالصلح بينهما، فكذلك شأن المسلمين إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم أن ينهض سائرهم بالسعي بالصلح بينهما، وبث السفراء إلى أن يرقعوا ما وهى، و يرفعوا ما أصاب و دهى، ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون و الوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، و أن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه(3).

إن الأخوة الإيمانية القائمة على المبادئ و القيم السامية أخوة متينة باقية، و عميقة عمق الإيمان في قلوب المؤمنين، بخلاف الأخوة القائمة على الالتقاء الجسدي البحت الخالي من عناصر الأخوة المعنوية، فإنها من غير الممكن أن تتكون جماعة صحيحة قوية تصمد لعوامل التمزيق، و عوامل التفكك والخلاف، لاسيما إذا كان بين أفرادها خلاف فكري، أو اعتقادي، أو خلاف في المصالح و الغايات والأهداف(4).

و مما سبق بيانه نخلص إلى أن الأخوة الإيمانية ركيزة أساسية لحفظ وحدة الأمة و صيانتها من عوامل التفكك و الانهيار.

---

(1)- ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية لنادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة،بيروت، الطبعة التاسعة، 1422 هـ، ص 340، وسنن الله في إحياء الأمم لحسين شرفة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1429 هـ، ص 459.

(2)- الحجرات: 10.

(3) - ينظر: زاد المسير لابن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ، (148/4)، وروح المعاني للألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، (303/13)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، دط، 1405هـ، (243،244/26)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (3343/6).

(4)- ينظر: الأخلاق الإسلامية و أسسها لعبد الرحمان حسن حبنكة الميداني (2/ 194).

المطلب الثاني: التعاون على البر والتقوى.

يعدّ التعاون ضرورة من ضرورات الحياة، فالإنسان بمفرده عاجز عن تحقيق رغباته، ومصالحه ولا يتم له ذلك إلا بالتعاون مع غيره، فالقرآن الكريم حينما دعا إلى التعاون فهو ينطلق من هذه الضرورة ويلبي للإنسان حاجة من حاجاته الاجتماعية، فالتعاون إذن سنة الله في خلقه، بها تتيسر أمور الحياة، وبها يتحقق التكافل الاجتماعي، وقد حدد القرآن الكريم مجاله و وضع له إطارا لا يخرج عنه، فجعله تعاونا على البر والتقوى، ونهى أن يكون تعاونا على الإثم والعدوان، و هو يقرر كذلك أن المقصود من اجتماع الناس وتعاونهم على البر والتقوى، أن يعين كل واحد صاحبه على ذلك، فإن العبد لا يستقل لوحده بالقدرة عليه فاقتضت حكمة الرب سبحانه أن جعل النوع الإنساني قائما بعضه ببعض معينا بعضه بعضا.(1)

و أدل آية على هذا المبدأ الاجتماعي قوله تعالى:﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾(2)، و المعنى و ليعن بعضكم أيها المؤمنون بعضا على البر وهو العمل بما أمر الله بالعمل به و التقوى هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه، و لا يعن بعضكم بعضا على الإثم أي على ترك ما أمركم الله بفعله والعدوان بمعنى ولا تتجاوزوا ما حد الله لكم من دينكم، وفرض لكم في أنفسكم و في غيركم، و العرف في دلالة هذين اللفظين أن البر يتناول الواجب والمندوب إليه، والتقوى رعاية الواجب فإن جعل أحدهما بدل الآخر فيتجوز، ثم نهى تعالى عن التعاون على الإثم وهو الحكم اللاحق عن الجرائم وعن العدوان وهو ظلم الناس(3).

والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، و الشجاع بشجاعته في سبيل الله، و أن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، ويعدّ مبدأ التعاون بين المسلمين من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، لأنه يوجب على الناس إيجابا دينيا أن يعين بعضهم بعضا على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادا وأقواما في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، و أكد هذا الأمر

---

(1)- ينظر: سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة لحسين شرفة (ص 473، 474)، والرسالة التبوكية لابن قيم الجوزية، تح: أبو أسامة بن عيد الهلالي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ ، ص50،51.

(2)- المائدة: 02

(3)- ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ، (490/9)، و المحرر الوجيز لابن عطية، تح: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، (150/2).

بالنهي عن ضده،وهو التعاون على الإثم بالمعاصي، و كل ما يعوق عن البر والخير، وعلى العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض، و يجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض، وتظهر فائدة التعاون في تيسير العمل و توفير المصالح وإظهار الاتحاد والتناصر حتى يصبح ذلك خلقا للأمة (1).

ومن خلال عرض تفاسير العلماء لهذه الآية الكريمة يظهر لنا جليا أن جميع أعمال البر والإحسان ضرورة اجتماعية تكفل بقاء المجتمع متحدا متماسكا لا تتسلل إليه آفات العدوان والظلم وهضم الحقوق.

كما أن السنة النبوية أكدت على أهمية هذا المبدأ في أحاديث كثيرة سأسوق البعض منها تدعيما لما جاء في الآية الكريمة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(2)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته،ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»(3).

وعنه أيضا قال: إن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله تعالى؟ و أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:« أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا» (4).

---

(1)- ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (47/6)، و تفسير المنار لرشيد رضا (108/6)، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (88/6).

(2)- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم 6011، وأخرجه مسلم في كتاب البر و الصلة و الآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم و تعاضدهم، رقم 2586.

(3)- أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم 2442، وفي كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه: إنه أخوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه، رقم 6951،و أخرجه مسلم في كتاب البر و الصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم 2580.

(4)- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الميم، من اسمه محمد، رقم 6026، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د ط، د ت، قال الألباني: صحيح، ينظر: السلسلة الصحيحة، رقم 906.

وكل هذه الخصال المذكورة في الأحاديث السالفة من تراحم و تعاطف، وقضاء للحوائج و تفريج للكربات وإدخال للسرور وإطعام للطعام تعد من الدعائم والركائز الأساسية التي تعزز الأواصر الاجتماعية بين الأفراد، فيصبح المجتمع لحمة واحدة، يسوده الأمن والاستقرار في ظل التكافل الاجتماعي.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

من المعلوم أن الإسلام وضع للمجتمع تشريعا كاملا في جميع النواحي، و أراد لكل مجتمع إنساني أن ينمو باطراد و ثبات في ظل هذا المنهج الرباني ولذلك فقد أهتم الإسلام بوضع القواعد التي تكفل التقدم المستمر والدائم للمجتمع، ومن أهم هذه القواعد التي قررها القرآن الكريم أن يتوفر في المجتمع من يقوم بإصلاح أموره في شؤون الدنيا و الدين، وهو ما اصطلح عليه بمبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر(1).

و قد عرف الراغب الأصفهاني هذا المبدأ بقوله: " المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر ما ينكر بهما" (2).

و يربط القرآن الكريم فلاح الأمة بهذا الواجب الشرعي و الاجتماعي، حيث يقول تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(3).

لقد أورد رشيد رضا في تفسير هذه الآية كلاما نفيسا حول أثر هذا المبدأ في وحدة الأمة حيث قال:" فإذا كانت الجامعة الموحدة للأمة هي مصدر حياتها، سواء أكانت مؤمنة أم كافرة فلا شك أن المؤمنين أولى بالوحدة من غيرهم لأنهم يعتقدون أن لهم إلها واحدا فيرجعون في جميع شؤونهم إلى حكمه الذي يعلو جميع الأهواء، و يحول دون التفرق والخلاف، بل هذا هو ينبوع الحياة الاجتماعية لما دون الأمم من الجمعيات حتى البيوت، ولما كان لكل جامعة و كل وحدة حفاظا يحفظها أرشدنا سبحانه وتعالى إلى ما نحفظ به جامعتنا التي هي مناط وحدتنا وأعني بها الاعتصام بحبله، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظ الجامعة و سياج الوحدة" (4).

---

(1)- ينظر: أصول المجتمع الإسلامي لجمال الدين محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413 هـ، ص 193.

(2)- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص 561.

(3)- آل عمران: 104.

(4)- تفسير المنار لرشيد رضا (7/ 23،22)

ويؤكد هذا المبدأ البغوي(1) عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(2) بأن الولاية تكون في الدين واجتماع الكلمة والعون والنصرة، يأمرون بالمعروف بالإيمان والطاعة و الخير، و ينهون عن المنكر، وعن الشرك والمعصية و مالا يعرف في الشرع (3).

ويبيّن صاحب التفسير الظلال عند تفسيره للآية السالفة أنّ طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة، طبيعة الوحدة و طبيعة التكافل، ولكنه التضامن في تحقيق الخير و دفع الشر و تحقيق الخير و دفع الشر يحتاج إلى الولاية و التضامن و التعاون، ومن هنا تقف الأمة المؤمنة صفا واحدا لا تدخل بينها عوامل الفرقة، و حيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة فثمة و لابد عنصر غريب عن طبيعتها، وعن عقيدتها، هو الذي يدخل بالفرقة و ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى و يدفعها، السمة التي يقررها العليم الخبير " بعضهم أولياء بعض" يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و إعلاء كلمة الله، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض(4).

ويُنّبه النبي صلى الله عليه و سلم إلى العقاب الذي يحل بالأمة عند تقصيرها وإهمالها لأداء هذا الواجب الشرعي بعدم استجابة الدعاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:" مروا بالمعروف و انهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم"(5).

وقد شبّه النبي صلى الله عليه و سلم المجتمع الإسلامي بالسفينة التي يركبها الصالحون والمفسدون، في الحديث المروي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها و بعضهم أسفلها،

---

(1)- هو الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي، كان إماما فقيها محدثا مفسرا، من مصنفاته: شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل، توفي سنة 516ه بمرو الروذ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي تح: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، الطبعة الثانية، 1413ه، (75/7، 76).

(2)- التوبة: 71.

(3)- معالم التنزيل للبغوي، (369/2).

(4)- و في ظلال القرآن لسيد قطب (1674/3، 1675).

(5)- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم 4004، تح: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، د.ت، قال الألباني: حسن، ينظر: سنن ابن ماجه.

فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبا خرقا و لم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»(1).

و للشوكاني(2) كلام نفيس في بيان أهمية هذه الشعيرة العظيمة و المهجورة في واقع الأمة، حيث قال:" فاعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من أعظم عمد الدين لأن بهما حصول مصالح الأولى والأخرى، فإن كانا قائمين قام بقيامهما سائر الأعمدة الدينية و المصالح الدنيوية، و إن كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الأمور الدينية و الدنيوية، و بيان ذلك أن أهل الإسلام إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم ثابت الأساس، و القيام به هو شأن الكل والأكثر من الناس والمعروف بينهم معروف وهم يد واحدة على إقامة من زاغ عنه و رد غواية من فارقه، والمنكر لديهم منكر، وجماعتهم متعاضدة عليه متداعية إليه، متناصرة على الأخذ على يد فاعله و إرجاعه إلى الحق والحيلولة بينه و بين ما فارقه من الأمر المنكر، فعند ذلك لا يبقى أحد من العباد في ظاهر تاركا لما هو معروف ولا فاعلا لما هو منكر لا في عبادة ولا في معاملة فتظهر أنوار الشرع، و تطلع شموس العدل، وتهب رياح الدين، وتعلن كلمة الله في عباده(3).

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلطة اجتماعية والقيام بهذا الواجب هو الدرع الواقي للمجتمع يصونه و يحفظه من التفكك و الانهيار، و محاصرة أهل الفساد مطلب ضروري لحفظ المجتمع المسلم و سلامته من الآفات والأمراض والمعاصي التي تفتك بالأمة و تقضي على وحدتها وتصل بها في النهاية إلى الدمار والهلاك(4).

---

(1)- أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والإستهام فيه، رقم 2493، و في كتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات، رقم 2686.

(2)- هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد سنة 1173هـ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها ومات حاكما بها، له تصانيف عديدة منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، و الدرر البهية، و فتح القدير، و إرشاد الفحول، و تحفة الذاكرين، توفي سنة 1250هـ. ينظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر، 1413هـ، (298/6).

(3)- مجموعة رسائل شرح الصدور بتحريم رفع القبور، و رفع الريبة عما يجوز و ما لا يجوز من الغيبة، والدواء العاجل لدفع العدو الصائل للشوكاني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة و الأربعون، 1410هـ، ص 33، 34.

(4)- ينظر: معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه لعبد الرحمان الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثامنة و العشرون، 1417- 1418 هـ، ص 476.

ومن خلال ما سبق تظهر أهمية هذا المبدأ في إعلاء كلمة الدين و الحق و العدل، فيصبح المؤمنون يد واحدة في دفع المنكرات التي تفسد وحدهم وتخل باستقرارهم.

المبحث الثالث: أسس الانتماء للأمة

لقد نبه القرآن الكريم من خلال أحكامه و أوامره و نواهيه و سننه الكونية التي تجعل الفرد المسلم يشعر باستمرار لانتمائه إلى كيان واحد هو الأمة، وذلك من خلال وحدة اللسان، و وحدة أداء العبادات الجماعية، و وحدة الغاية في العبودية و الخضوع لله عز وجل، فهذه الأسس تشعر الأفراد بالانتماء الوجداني إلى أمة واحدة.

المطلب الأول: وحدة اللسان

لا شك أن لكل أمة لغة يتواصل أفرادها فيما بينهم، و لا ريب أن تكون هذه اللغة مرتبطة بدينهم و عقيدقم و تعد اللغة العربية واحدة من هذه اللغات التي يتواصل بها أقوام من أمة الإسلام، و سأتحدث عن اللغة العربية كوسيلة لفهم الكتاب والسنة و لغة تعبدنا الله بها و لتصير لغة مشتركة بيننا، و يبين عز وجل في كتابه الكريم أن كل رسول أرسل بلسان قومه تيسيرا لفهم الرسالة، و وحد الله أمة النبي صلى الله عليه وسلم تحت مظلة اللسان العربي بعربها و عجمها حيث يقول تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(1).

والمعنى أن كل رسول أرسل إلى قومه بلساهم من أجل بيان الرسالة، و من ثم ينقلوا ما أمروا به ويترجموه إلى غيرهم من الناس و لو أنزل القرآن على أمم مختلفة لأنزل بلغات مختلفة، لأدى ذلك إلى اختلاف الكلمة، و تنازع الأمة في فهم المعاني و المقاصد التي جاء بها القرآن، و إضاعة فضل الاجتهاد في تعلم اللسان العربي على غير العرب من عجم و غيرهم(2).

ففائدة وحدة اللسان ظاهرة في توحيد الكلمة وقطع الطريق أمام كل ما يعكر صفو وحدة الأمة، لأنها اجتمعت على كتاب واحد أنزل بلغة واحدة.

---

(1)- إبراهيم: 04.

(2)- ينظر: أنوار التتريل و أسرار التأويل للبيضاوي، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ، (192/3، 193).

و يبين القرآن الكريم أهمية اللسان العربي في تبليغ الرسالة وأنه حجة على العرب وألا يعتذروا أنه أنزل بغير لسانهم، قال تعالى:﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾(1).

قال الطاهر بن عاشور(2): "فقدّ ر الله تعالى هذه اللغة أن تكون هي لغة كتابة الذي خاطب به كافة الناس فأنزل بادئ ذي بدء بين العرب أهل ذلك اللسان، ومقاويل البيان ثم جعل منهم حملته إلى الأمم تترجم معانيه فصاحتهم وبيانهم، ويتلقى أساليبه الشادون ومنهم و ولداهم، حين أصبحوا أمة واحدة يقوم باتحاد الدين واللغة كيانهم(3).

يبيّن ابن عاشور أن القرآن الكريم أنزل بلسان قوم النبي صلى الله عليه و سلم، الذين كانوا يفهمون معانيه سليقة، لأنهم أهل البيان و الفصاحة، ثم تلقى منهم بعد ذلك غيرهم من القبائل والشعوب هذه المعاني، فأصبحوا بعد ذلك أمة واحدة تدين بدين واحد وتتعبد الله عز و جل بلغة واحدة.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء قيس بن مطاطة إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا، فقام إليه معاذ بن جبل فأخذ تلبيبه(4) ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقالته، فقام النبي صلى الله عليه وسلم قائما يجر رداءه حتى دخل المسجد ثم نودي أن الصلاة جامعة وقال:" يا أيها الناس إن الرب واحد و الدين واحد ألا وإن العربية ليست لكم بأم و لا أب، و إنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي"(5).

---

(1)- الشعراء: 192-195.

(2)- هو محمد الطاهر بن عاشور، ولد سنة 1290ه بتونس، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، و أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، و التحرير والتنوير، و الوقف وآثاره في الإسلام و أصول الإنشاء والخطابة و موجز البلاغة، توفي سنة 1899ه بتونس. ينظر: الأعلام للزركلي (173/6، 174).

(3)- التحرير و التنوير لابن عاشور (190/19).

(4)- تلبيبه: مفرد تلابيب وهي ما على النحر من الثياب، ينظر: مجالس التذكير من حديث البشير النذير لعبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الطبعة الأولى، 1403ه، ص 300

(5)- أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1415ه، (407/21)، قال الألباني: ضعيف جدا، رقم 926. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة لناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1412 ه.

قال ابن تيمية معلقا على الحديث:"هذا الحديث ضعيف...لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجود..." (1).

ففي الحديث دلالة واضحة على ربانية المصدر، و على أن العربية ليست مقصورة على النسب العربي و إنما هو اللسان، و فيه دعوة للمسلمين لتعلم اللسان العربي من أجل فهم الدين و إقامة شعائره، و ذلك مدعاة لوحدة الأمة حول لغة واحدة، و لتصبح اللغة العربية اللغة الأم التي يشترك فيها أفراد الأمة.

ويعلق عبد الحميد بن باديس(2) على الحديث المتقدم قائلا:" تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد، و تكاد أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون الأمة و يربط أجزائها ويوحّد شعورها و يوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، و إنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد...فلو وضعت أخوين شقيقين يتكلم كل منهما بلسان وشاهدت ما بينها من اختلاف نظر وتباين قصد و تباعد تفكير، ثم وضعت شاميا و جزائريا مثلا ينطقان باللسان العربي و رأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك كله لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم و اللغة في توحيد الأمم"(3).

و عن محمد بن سيف قال:" سألت الحسن البصري عن المصحف أينقط بالعربية ؟ قال: لا بأس به، أما بلغك كتاب عمر بن الخطاب ؟كتب: تفقهوا في الدين، و أحسنوا عبارة الرؤيا، وتعلموا العربية"(4)، ففي كتاب عمر دليل واضح على الارتباط الوثيق بين فهم الدين وتعلم اللسان العربي.

---

(1)- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، 1419هـ، ص 461.

(2)- هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، ولد في قسنطينة سنة 1305هـ، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، أتم دراسته في الزيتونة بتونس، وأصدر مجلة الشهاب العلمية الدينية الأدبية، و أنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرا من المدارس، و له تفسير القرآن الكريم، ونشرت نبذ منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم مجالس التذكير، توفي سنة 1887هـ بقسنطينة. ينظر: الأعلام للزركلي (289/3). وهم الزركلي في تاريخ ميلاد ابن باديس و الصحيح هو 1308هـ. ينظر: آثار ابن باديس، تح: عمار طالبي، دار و مكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة الأولى، هـ، (72/1).

(3)- مجالس التذكير من حديث البشير النذير لعبد الحميد بن باديس، ص301.

(4)- أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف، رقم 7948، تح: حبيب الرحمان الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ.

وممن دافع عن اللغة العربية وبين دورها في معرفة الإسلام وضبط أحكامه، ابن تيمية حيث قال: " لم يكن سبيل إلى ضبط الدين و معرفته إلا بضبط اللسان و صارت معرفته من الدين، و صار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، و أقرب إلى إقامة شعائر الدين"(1).

وكلام ابن تيمية يتجه نحو إلزامية تعلم العربية من أجل فهم الدين، و منه إقامة الشعائر الدينية على أكمل وجه، لأن حسن العمل من حسن الفهم، وحسن الفهم من حسن التعلم، فيقول في بيان ذلك:" إن نفس اللغة العربية من الدين و معرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب و السنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، و ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"(2).

إن لوحدة لسان الأمة دور بارز في حفظ وحدتها، كيف لا و قرآنها عربي، و رسولها عربي، فهذا الأساس يوحد شعورها و يحقق انتماءها الحضاري ويعزز مكانتها بين الأمم.

المطلب الثاني: وحدة أداء العبادات الجماعية

إن مفهوم العبادة في الإسلام أرحب وأشمل وأدق وأعمق مما يتصوره الكثير من الناس، لأنها تشمل الحياة بأسرها، ولذلك فإن العبادات إذا فهمت فهما صحيحا و طبقت تطبيقا دقيقا أنتجت مجتمعا قويا، متينا كالبنيان المرصوص يسعى بذمته أدناه، و يكون يدا على من سواه (3).

يقول تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّـهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّـهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾(4).

تجمع هاتان الآيتان المنهاج الذي رسمه الله لهذه الأمة إنه يبدأ بأمر الذين آمنوا بالركوع و السجود، وهما ركنا الصلاة البارزان و يثني بالأمر العام بالعبادة، وهي أشمل من الصلاة، و يختم بفعل الخير عامة، في

---

(1)- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص 450.

(2)- المصدر نفسه، ص 527.

(3)- العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين لعلي عبد اللطيف منصور الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة عشر، العدد 61، محرم، صفر، ربيع الأول، 1404هـ، ص 17.

(4)- الحج: 77 ، 78.

التعامل مع الناس بعد التعامل مع الله بالصلاة والعبادة، يأمر الأمة المسلمة بهذا رجاء أن تفلح، العبادة تصلها بالله فتقوم حياتها على قاعدة ثابتة و طريق واصل، وفعل الخير يؤدي إلى استقامة الحياة الجماعية على قاعدة من الإيمان وأصالة الاتجاه، فإن استعدت الأمة المسلمة بهذه العدة من الصلة بالله واستقامة الحياة، استقام ضميرها و استقامت حياتها، و قد سمى الله هذه الأمة الموحدة بالمسلمين، من ثم يأمرها القرآن بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة والاعتصام بالله، فالصلاة صلة الفرد الضعيف بمصدر القوة و الزاد، و الزكاة صلة الجماعة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد، و الاعتصام بالله هو العروة الوثقى التي لا تنفصم بين المعبود والعباد، و بهذه العدة تملك الأمة المسلمة النهوض بتكاليف الوصاية على البشرية التي اجتباها لها الله، و في هذه الآيتين كذلك تعبير عن أوامر إلهية تكليفية يراد بها توثيق الصلة بالله تعالى وتهذيب النفس، و جهاد الأعداء،وإقامة صرح العدالة الاجتماعية بشرع الله و دينه، وذلك من خلال الصلاة المشتملة على الركوع والسجود، و مناسك الحج و الصيام ونحوها، وفعل الخيرات من أداء النوافل الطاعات و صلة الأرحام، ومكارم الأخلاق، هذا يشمل كل فضيلة في الإسلام، وفعل الخيرات عام للتكاليف جميعها، يشمل ما يصلح علاقة العبد بالرب، و ما يصلح علاقات الناس بعضهم مع بعض، لذا جمعت الآيتين أسمى درجات التهذيب النفسي والاجتماعي، فكل ما أمر الله به خير، وتأكيدا لإعداد الذات المؤمنة وتهذيبها وصونها للجماعة المؤمنة من كيد أعدائها أمر الله بالجهاد، وختمت الآية بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة التي تعتبر دليل التعاون والتضامن والإخاء(1).

لقد هيأ الله تعالى بتشريعه و حكمته للصلاة جوا طيبا من الإجلال والتعظيم و الخشوع والسكينة، و التعاون، والاجتماع، ثم شرع الله لها الأذان للدعوة إليها والجمع عليها، ثم أقيمت لها المساجد التي هي ملتقى الصالحين و مهبط الرحمات فيها يتم التآلف و التعارف، و التوحد و الترابط و يتعرف كل واحد على حاجة أخيه، و إذا حضر المؤمنين الجماعة في المسجد توطدت أواصر الأخوة، و تأكدت أسباب التضامن و المحبة لما في ذلك من وحدة وإجماع و تعارف وتعاون، فإذا أقيمت الصلاة أمهم إمام واحد فكانوا متراصين متساوين يركعون ركوعا واحدا، ويسجدون سجودا واحدا، ويتجهون إلى قبلة واحدة هي الرمز لوحدتهم،و الجمع لكلمتهم، و العنوان الكامل لترابطهم و تضامنهم، و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم شديد الاهتمام بتسوية الصفوف، كثير الترغيب في إقامتها و وصلها، وسد خللها،

---

(1)- ينظر: تفسير الظلال لسيد قطب (4/ 2445، 2446)، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ، (17/ 284، 285، 290).

شديد الإنكار على الإخلال بها و التفريط فيها، ذلك لأن فوائد الجماعة لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، و قيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص(1).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:"سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة"(2)، و عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال:قال النبي صلى الله عليه وسلم:« لتسوّن صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم»(3).

لقد حرص القرآن الكريم على بيان ما تقوم به الصدقات من إرساء لقواعد التكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع الإسلامي، بمواساة للمفقير والمسكين و غيرهم من الأصناف المستحقة للزكاة، يقول تعالى:﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾(4).

فالصدقات شرعت لسد حاجات الفقراء والمساكين وتفريجا لكرب المحتاجين وتحريرا للرقاب من ذل الرق وإعزازا لدين الله، و ماذا يكون الحال لو بخل الأغنياء بأموالهم على الفقراء والمحتاجين وعلى البذل في وجوه البذل الأخرى بالطبع ستصبح صورة المجتمع صورة مفزعة مخيفة، فالفقراء تمتلئ صدورهم بالأحقاد والضغائن، و تمتد أيدهم إلى هذه الأموال التي لم يحصلوا عليها طواعية ليستولوا عليها بوسائل أخرى يفسد بها نظام الحياة و يصبح المجتمع طوائف متناحرة تتربص كل منها بالأخرى، فتتشتت وحدة الأمة، فالزكاة إذن عهد للمسلم مع إخوانه في الدين، وشركائه في المجتمع؛ عهد ترفرف عليه رايات الحب، ويغمره التعاون و التراحم (5).

وإذا تأملنا إلى شعيرة الصوم لنحصي فوائدها الاجتماعية؛ فهي أجلّ من أن تحصى وإذا كان الصوم يثمر التقوى، وعفة النفس واستقامة الجوارح ويقظة الضمير، ورحمة القلب، و خشية الرب، فإن هذه الفضائل تنعكس على المجتمع كله و تنشر بركتها عليه، فالصوم مدرسة شرعت فيها العبادة و الذكر و تلاوة القرآن، و الصدقات والتراحم و البر و الإحسان، فهو موسم العبادة المتشعبة الجوانب، تلك

---

(1)- ينظر: العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين لعلي عبد اللطيف منصور، ص 123، 124، 125.

(2)- أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب إقامة الصف من تمام الصلاة رقم 723، و أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف و إقامتها رقم 433.

(3)- أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، رقم 717، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف و إقامتها...، رقم 436.

(4)- التوبة: 60.

(5)- ينظر: العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين لعلي عبد اللطيف منصور، (ص 128، 129، 131).

العبادات تطبع النفوس بطابع الرحمة و الخير، و تغمر المجتمع كله، بموجة من الحب و الود و التعاون والتضامن و التراحم(1)، يقول الدهلوي:" فإن اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شيء واحد في زمان واحد يرى بعضهم بعضا، معونة لهم على الفعل ميسِّر عليهم و مشجع إياهم، وأيضا فإن اجتماعهم هذا معد لنزول البركات الملكية على خاصتهم وعامتهم و أدنى أن ينعكس أنوار كمّلهم على من دونهم و تحيط دعوتهم من وراءهم"(2).

وإذا نظرنا إلى شعيرة الحج فهو أكبر مؤتمر عالمي يجمع المسلمين من جميع أقطار العالم جمعتهم رابطة الإسلام، و وحدتهم كلمة التوحيد، وقد التقوا على هدف واحد و عمل واحد و قول واحد فلا عصبية للون أو جنس أو طبقة، إنما هم جميعا مسلمون، و برب واحد يؤمنون، و ببيت واحد يطوفون، ولكتاب واحد يتلون، ولرسول واحد يتبعون، و لشعائر واحدة يؤدون، و بلباس واحد يحرمون، فأي وحدة أعمق من هذه؟ (3).

إن العبادات و الشعائر تربي المسلم على الارتباط بالمسلمين، حيثما كانوا، ارتباطا واعيا منظما متينا مبنيا على عاطفة صادقة، و ثقة بالنفس عظيمة، كما تكسب المسلم لذة الشعور بقوة الجماعة وعواطفها المشتركة، إلى جانب لذة المناجاة الفردية و الشعور بقوة الذات المسلمة التي تستمد قوتها من خالقها الواحد، فهذه العبادات الجماعية تنعقد تحت لواء عقيدة واحدة و مناجاة رب واحد، حتى إذا فرغ منها المسلمون تعارفوا و تناصحوا و تشاوروا قبل أن ينفضوا من اجتماعهم (4).

و من هنا تظهر أهمية هذه العبادات الجماعية في رص الصفوف و جمع الكلمة.

المطلب الثالث: وحدة الغاية

إنّ لكل أمة هدف في الحياة و رسالة في الوجود، فإذا عرفت رسالتها و التزمت بها سعدت في الدين و الآخرة، و إذا جهلتها أو أعرضت عنها شقيت في الدنيا و الآخرة، هذه الرسالة تحدث عنها القرآن في مواضع عديدة و أكد عليها مرارا وتكرارا والتي من أجلها قامت السموات والأرض ألا وهي

---

(1)-العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين لعلي عبد اللطيف منصور ، ص 132، 133.

(2)- ينظر: حجة الله البالغة لأحمد الدهلوي، تح: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ، (77/2)

(3)- ينظر: المصدر السابق، ص 134، و العبادة في الإسلام ليوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة والعشرون، 1413هـ، ص 290، 291.

(4)- ينظر: أصول التربية الإسلامية لعبد الرحمان النحلاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، 1423هـ، ص 55، 56.

عبادة رب العباد، و المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يدركون هذه الغاية السامية لأنها تعبر بصدق عن انتمائهم إلى أمة واحدة تعبد ربا واحدا و تتبع رسولا واحدا و تدين بدين واحد، فيقول تعالى في بيان هذه الغاية(1): ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(2).

في الآية إشارة إلى تلك الوحدة التي تجمع الناس جميعا وتجعل منهم مجتمعا واحدا، وإن اختلفوا ألسنة، و تباينوا ألوانا، وتناءوا ديارا وأوطانا، وأن الله رب جميع الناس وراعيهم وكالئهم تقلهم أرضه، وتظلهم سماؤه، وإذا كان هذا صنيعه بهم وشأنه فيهم فهو المستحق للعبادة والطاعة والولاء، وفيها أيضا نداء للنبي صلى الله عليه و سلم والمؤمنين بأن منهج عبادة الله وحده والخضوع له وحده والإخلاص له وحده والاستعانة به وحده هو المنهج الذي سار عليه أنبياء الله وهي الغاية الوحيدة التي يجب أن يسيروا إليها لتحقيقها والثبات عليها(3).

إن دين الله والإنسانية دين واحد قائم على التوحيد الخالص لله، و العبادة الخالصة له، وتلك هي الملة الواحدة التي دعا إليها جميع الأنبياء والشرائع، إنهم جميعا متفقون على منهج واحد وغاية واحدة، وما على البشر إلا توحيد الدين، والإنابة لرب العالمين، فهو الإله الواحد الذي لا إله غيره، ليعبده كل الناس و لا يشركوا به أحدا من المخلوقات(4)، و يؤكد ذلك تعالى في قوله:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾(5).

إن حقيقة الوجود قائمة على غاية معينة لوجود الجن والإنس هي عبادة الله أو هي العبودية لله وأن تستقيم الأمة كلها على هذه الغاية، أمة تعبد و رب يعبد وحده، إن حقيقة العبادة تمثل في أمرين رئيسيين: فالأول هو استقرار معنى العبودية لله في النفس، أي استقرار الشعور على أنه ليس هناك في الوجود إلا عابدا ومعبودا وإلا ربا واحدا و الكل له عبيد، أما الثاني فهو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، و كل حركة في الجوارح و كل حركة في الحياة التوجه بها إلى الله خالصة، و التجرد من كل

---

(1)- ينظر: الوحدة الإسلامية أسسها و وسائل تحقيقها لأحمد بن سعد حمدان الغامدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السابعة عشر، العدد 65-66 محرم، جمادى الآخرة، 1405هـ، ص 57.

(2)- الأنبياء: 92.

(3)- ينظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (950/3، 951)، والتفسير الحديث لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د ط، 1383هـ، (289/5).

(4)- ينظر: التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ، (1614/2) .

(5)- الذاريات: 56.

شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله، ومن مقتضيات استقرار معنى العبادة أن تقوم الأمة بالخلافة في الأرض و تنهض بتكاليفها، وتحقق أقصى ثمراتها (1).

إذن فحقيقة العبادة قائمة على أمرين هما ا ستقرارها في النفس وهو التصديق الجازم ألا معبود بحق إلا الله عز و جل و الأمر الثاني هو الإخلاص في التوجه بالعبادة لله تعالى وهما الأمرين اللذين يحققان الخلافة في الأرض.

ويقرر النبي صلى الله عليه و سلم، هذه الغاية العظيمة التي خلق الإنسان من أجلها ببيان حق الله على العباد، فعن معاذ بن جبل قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم:« يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد قال: الله و رسوله أعلم، قال: أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم »(2).

ومما سبق يتضح أن الغاية التي وجد الإنسان لأجلها وأن الهدف الأسمى في الوجود هو عبادة الله عز و جل بتمكين دينه و تحكيم كتابه و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، وبذلك ترقى أمة محمد صلى الله عليه و سلم إلى الأمة الخيّرة التي أراد ها الله عز و جل في كتابه الكريم.

---

(1)- ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (6/ 3387، 3388).

(2)- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد و السير، باب اسم الفرس والحمار رقم 2856، وفي كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم 5967، وفي كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، رقم 6267، وفي كتاب الرقاق باب من جاهد نفسه في طاعة الله، رقم 6500، وفي كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم أمته إلى توحيد الله تبارك و تعالى، رقم 7373، و أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، رقم 30.

﴿الفصل الثاني﴾

ثمرات الوحدة و آثار التنازع

❖ المبحث الأول: ثمرات الوحدة

- المطلب الأول: تحقيق الألفة و المحبة
- المطلب الثاني: تحقيق القوة و المنعة
- المطلب الثالث: تحقيق التمكين والاستخلاف

❖ المبحث الثاني: آثار التنازع

- المطلب الأول: ظهور العداوة و البغضاء
- المطلب الثاني: انقسام الأمة و تفرقها
- المطلب الثالث: ضعف الأمة و هلاكها

إن المتأمل في واقع الأمة يرى العداوة و البغضاء تنخر جسدها، وهو ما أدى إلى افتراقها إلى جماعات و طوائف تتناحر فيما بينها، فاستغل الأعداء ضعفها و هوانها ليتربصوا بها الدوائر من أجل تدميرها على مستوى كافة الأصعدة وهي أهم الآثار التي حذر القرآن الكريم منها في آيات عديدة، وفي المقابل نلاحظ أن التوجيهات القرآنية تحث الأمة على التآلف والاجتماع من أجل تحقيق القوة والمنعة لإرهاب عدوها، وتحقيق وعد الله عز و جل بالتمكين و الاستخلاف في الأرض، و هي أبرز الثمرات التي قطفتها من بستان القرآن الكريم.

المبحث الأول: ثمرات الوحدة.

دعا القرآن الكريم في آيات عديدة الأمة الإسلامية إلى الاعتصام بالله وبدينه وبكتابه وهذا الاعتصام يحقق للأمة فوائد أهمها الألفة والمحبة، القوة والمنعة، التمكين والاستخلاف في الأرض.

المطلب الأول: تحقيق الألفة والمحبة.

إن من فوائد اجتماع المسلمين؛ و وحدتهم تحقيق الألفة والمحبة والرحمة والمودة بينهم، لأنهم جسد واحد، وأمة واحدة، قال تعالى:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾(1).

لقد عاش الناس في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام و قذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا، وصاروا إخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد، لهذا أمرنا الله بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادا وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة و انتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر كذلك بتذكر نعمه وأعظمها الإسلام فإن به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة، وقد كان الناس في الجاهلية أعداء يقتل بعضهم بعضا، و يأكل قويهم ضعيفهم، فجاء الإسلام فألف بينهم وجمع جمعهم وجعلهم إخوانا على قلب رجل واحد(2).

---

(1)- آل عمران 103.

(2)- ينظر: الكشاف للزمخشري (1/ 395)، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (164/4)، و تفسير المراغي، (18/4).

و يبيّن تعالى في آية أخرى ما لاجتماع أفراد الأمة من تحقيق للألفة بينهم فقال: ﴿ **وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّـهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّـهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(1).

في الآية دليل على أن النصر ينال بالأسباب، وأن ذلك يتوقف على التآلف والاتحاد، وأخوة الإيمان هي أقوى عاطفة و مودة من أخوة الأنساب والأوطان، فلا يوجد سبب للتوحيد والتعاون بين البشر كالتآلف والتحاب،و لا يوجد سبب للتحاب و التآلف كأخوة الإيمان وقد اتفق حكماء البشر غابرهم وحاضرهم على أن المحبة أعظم الروابط بين البشر، و أقوى الأسباب لسعادة الاجتماع الإنساني وارتقائه، واتفقوا أيضا على أن المحبة إذا فقدت لا يحل محلها شيء في منع الشر والوقوف عند حدود الحق، فهذه العقيدة الربانية حين تخالط القلوب تستحيل إلى مزاج من الحب و الألفة ومودات القلوب، وتربط بينها برباط وثيق عميق رفيق من التعارف و التعاطف، و الولاء والتناصر والسماحة، وفي الآية كذلك إشارة إلى أن التأليف بين قلوب المؤمنين منة أخرى على الرسول، إذ جعل أتباعه متحابين و ذلك أعون له على سياستهم، وأرجى لاجتناء النفع بهم، إذ يكونون على قلب رجل واحد، لأن ذلك أبعد عن حصول التنازع بينهم، وهو أيضا منة على المؤمنين إذ نزع من قلوبهم الأحقاد والإحن التي كانت دأب الناس في الجاهلية، فلما آمنوا بمحمد صلى الله عليه و سلم انقلبت البغضاء بينهم مودة،وما كان ذلك التآلف والتحاب إلا بتقدير الله تعالى فإنه لم يحصل من قبل بوشائح الأنساب، ولا بدعوات ذوي الألباب، فكان التأليف بينهم من آيات هذا الدين، لما نظم الله ألفتهم، وأماط عنه من التباغض، ثم أصبحوا بعد حين إخوانا أنصارا لله تعالى، وأزال الله من قلوبهم البغضاء بينهم(2).

ومن خلال ما سبق يتضح جليا أن البغضاء و الشحناء التي كانت بين الأوس والخزج انقلبت مودة ومحبة وأخوة و هذا بفضل إجتماعهم على كلمة التوحيد التي وحدت كلمتهم و جعلتهم على قلب رجل واحد يربطهم رباط التعاطف والتعاون والتناصر والسماحة والألفة، وفي هذا كله تذكير لأمة الإسلام بما تحلى به السلف من الصحابة رضوان الله عليهم من محبة و ألفة.

و يؤكد النبي صلى الله عليه و سلم على هذه المعاني من خلال أحاديث عدة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم

---

(1)- الأنفال: 63،62

(2)- ينظر: تفسير المنار لرشيد رضا (10/ 61، 62)، تفسير الظلال لسيد قطب (3/ 1548)، تفسير التحرير و التنوير لابن عاشور(63/10، 64).

وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(1)، و عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(2). ففي كلا الحديثين بيان بأن اجتماع المسلمين له أثر جلي في إضفاء المودة والتراحم والتعاطف فيصبحون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا.

المطلب الثاني: تحقيق القوة والمنعة

إن من أهم الثمرات التي تجنيها الأمة المسلمة من اجتماع كلمتها و وحدة صفها هو تحقيقها للقوة والمهابة بين الأمم، قال تعالى:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾(3).

أمرنا الله بالاجتماع على كتابه فبه نتحد و تتقوى شوكتنا، ثم نهانا عن التفرق والانفصام بعد هذا الاجتماع و الاعتصام لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العزة و القوة، فبالعزة يعتز الحق وأهله، وبالقوة يحفظ أهل الحق من هجمات الواثبين وكيد الكائدين، وثنى الله هذا الأمر للمسلمين بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم، وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق ، ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء(4).

إن الاجتماع على الدين يورث القوة و المنعة، و إن التفرق فيه يورث الذل والهوان، قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾(5).

---

(1)- سبق تخريجه، ص 30.

(2)- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة،باب تشبيك الأصابع في المسجد و غيره، رقم 481، وفي كتاب المظالم والغصب،باب نصر المظلوم، رقم 2446 وفي كتاب الأدب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا رقم 6026 وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم 2585.

(3)- آل عمران: 103.

(4)- ينظر: تفسير المنار لرشيد رضا (17/4، 18)، و تفسير التحرير و التنوير لابن عاشور (31/4).

(5)- المنافقون: 08.

قال الزمخشري(1): "ولله العزة، الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين، وهم الأخصاء بذلك، كما أن المذلة والهوان للشيطان و ذويه من الكافرين والمنافقين"(2)، ولن تتفيأ الأمة ظلال العزة و القوة إلا بعد اجتماعها على كلمة واحدة .

إن سنة الله في النصر و الغلبة لا تتبدل و لا تتغير، وهو لابد جاعل عباده المؤمنين هم الأعزاء كما وعد، و جاعل مخالفيه هم الأذلاء، و لا دخل في تلك القوة التي يمد بها من يشاء، والنصرة التي يمنحها عباده المخلصين، و قد تم لهم الظفر على أعدائهم الضالين ولا شك أن هؤلاء المخلصين لا يصيبهم القهر والذلة ما دام الله ناصرهم على عدوهم بما وعدهم إياه، فهذه الآية يستمد منها المسلمون الموحدون شعور العزة و القوة و يحفزهم إلى إباء كل ضيم و هوان و اعتبارهما متنافيين مع ما قرره لهم القرآن من عزة و كرامة و استعلاء (3).

ولقد جاءت السنة النبوية لتؤكد هذه المعاني المتعلقة بالقوة و ا لمنعة و العزة كثمرة لوحدة المسلمين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" يد الله مع الجماعة "(4).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »(5).

ويرشدنا علي خليل مصطفى إلى أن هذه الوحدة الجامعة بين الأفراد من خواص الجانب الاجتماعي في الشخصية المسلمة باعتبارها تجاذب يشد الفعل الاجتماعي والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بعضها إلى بعض، وهي تؤدي إلى القوة في الترابط و الصحة في التوافق والسواء، والمتعة في التضام، فهي التي تشد بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض و وظيفتها الاجتماعية هامة، لأنها داعية إلى

---

(1)- هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ولد سنة 467هـ، بزمخشر من بلاد جرجان، إمام في التفسير و الحديث و اللغة، له مصنفات بديعة منها: الكشاف، و الفائق في شرح الحديث، و أساس البلاغة، متشابه أسامي الرواة، رؤوس المسائل في الفقه، و المنهاج في الأصول، و مقدمة في الآداب و ديوان للشعر و غيرها، توفي سنة 538هـ بخوارزم. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، (168/5).

(2)- تفسير الكشاف للزمخشري، (543/4).

(3)- ينظر: تفسير المراغي (114/28)، و تفسير التحرير و التنوير (149/28)، والتفسير الحديث لدروزة محمد عزت (463/8).

(4)- أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم 2166، تع: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، د.ت، قال الألباني: صحيح. ينظر: سنن الترمذي.

(5)- سبق تخريجه، ص 47.

التماسك الاجتماعي واستقرار بنائه، ولها أهميتها الخاصة لكل من الفرد والجماعة لما فيها من داع إلى التناصر والسلامة الاجتماعية(1).

إن من أهم ثمار تماسك المجتمع واتحاد أفراده بعضهم مع بعض تلك القوة التي يشعر بها هؤلاء الأفراد لمواجهة شتى العوائق والصعوبات التي تصادفهم في الحياة و هذه القوة هي سبب لتحقيق التمكين والاستخلاف في الأرض.

المطلب الثالث: تحقيق التمكين و الاستخلاف

وعد الله عز و جل عباده المؤمنين بالنصر والتمكين إن هم حققوا عوامل هذا التمكين ومن بين أهم عوامله وأسسه وحدة صفهم و كلمتهم، قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾(2).

إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح وعدهم الله بالاستخلاف في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم، و أنه يمكّن لهم دينهم و تمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة و الإعزاز و يبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمنا بأن ينصرهم عليهم فيقتلوهم ويأمنوا بذلك شرهم، و هذا وعد لجميع الأمة في ملك الأرض كلها تحت كلمة الإسلام فعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:« ز ويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها »(3)، فصح أن الآية عامة لأمة محمد صلى الله عليه و سلم غير مخصوصة، وصحّ في الحديث:

---

(1)- ينظر: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتاب أدب الدنيا و الدين لعلي خليل مصطفى، دار المجتمع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1411هـ، ص 296، 297.

(2)- النور: 55.

(3)- أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم 2889.

«والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »(1). (2)

وفي قوله تعالى (و ليمكننّ لهم دينهم) إضافة الدين إليهم ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه ، فيصبح دينهم ثابتا مقررا مرفوع اللواء،ظاهرا على غيره، قاهرا لمن ناوأه، إن حقيقة الاستخلاف في الأرض ليست مجرد الملك والقهر و الغلبة والحكم إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح و التعمير والبناء و تحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض، و تمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب، كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة و تدبيرها، فالإنسان هو خليفة الله على هذه الأرض، و لن يكون أهلا لهذه الخلافة إلا إذا صحت إنسانيته، و سلمت فطرته، فالمؤمن بالله المستقيم على طريق الحق والهدى هو أقوى الناس قوة، و أقدرهم على جني الثمرات مما على هذه الأرض و بهذا يكون له السلطات المتمكن فيها، إن الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا إيماء إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه مع ضمان التوفيق لهم والنجاح، وأن ملاك ذلك هو طاعة الله والرسول صلى الله عليه و سلم(3).

إن وعد الله عز و جل لعباده بالتمكين والاستخلاف في الأرض لن يتحقق إلا بوحدة الصف واجتماع الكلمة، و حينئذ تعلو راية الإسلام وترفرف فوق كل راية.

---

(1)- أخرجه البخاري عن خباب بن الأرث في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم 3611، و في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه من المشركين بمكة، رقم 3852، وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم 6943.

(2)- ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ، (412/24)، و تفسير القرطبي (12/ 299، 300).

(3)- ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1414هـ، (191/6)، و محاسن التأويل للقاسمي (403/7)، و في ظلال القرآن للسيد قطب (2529/4)، و التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (1314/9، 1315)، والتحرير و التنوير لابن عاشور (282/18).

المبحث الثاني: آثار التنازع.

لم يكتف القرآن الكريم في سبيل حفظ وحدة الأمة بالتنبيه إلى ثمرات الوحدة، فإن ذلك بعض الحفظ، بل نبّه أيضا إلى الآثار المدمرة للتنازع أهمها ظهور العداوة والبغضاء في الأمة و افتراقها إلى طوائف حتى أصابها الوهن و الضعف، ثم يؤول مصيرها إلى الهلاك و الدمار.

المطلب الأول: ظهور العداوة و البغضاء

من بين أهم آثار التنازع والافتراق بين أفراد الأمة وجماعاتها ظهور العداوة والبغضاء و الشحناء،

قال تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾(1) بيّن الله تعالى أن الذين اختلفوا في الكتاب الذي نزّله للحكم في الخلاف وجمع الكلمة على إتباع الحق لفي شقاق وعداء عن سبيل الحق، و كل منهم يخالف الآخر بما ابتدعه من مذهب أو رأي فيه حتى صار الكتاب وهو مزيل الاختلاف أعظم أسبابه، والشقاق هو الخلاف والتعادي وحقيقته أن يكون كل واحد من الخصمين في شق أي في جانب غير الذي فيه الآخر والمختلفون في الدين ينأى كل بجانبه عن الآخر فيكن الشقاق بينهما بعيدا(2).

و بيّن عز و جل أن التنازع في الجاهلية بين الأوس و الخزرج كانت عاقبته العداوة و الشحناء، حيث قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾(3).

يشير سبحانه وتعالى إلى ما كان عليه المؤمنون في عصر التنزيل من أخوة الإيمان التي بها قاسم الأنصار المهاجرين أموالهم و ديارهم، بعدما كان بينهم في الجاهلية من العداوة والبغضاء وتسافك الدماء ما هو معروف للمطلعين على أخبارهم المروية و المدونة، فلقد كانوا قوما متخالفين بين العداوات والإحن، يتربص كل واحد بالآخر الهلكة على يده، فيأتي الله بهذه الهداية فيجمعهم ويزيل كل ما في

---

(1)- البقرة: 176.

(2)- ينظر: تفسير المنار لرشيد رضا، (87/2).

(3)- آل عمران: 103.

نفوسهم من التنافر و يجعلهم إخوانا ترجع أهواؤهم كلها إلى شيء واحد لا يختلفون فيه، وهو حكم الله. (1)

ويشير النبي عليه الصلاة و السلام إلى آثار التنازع في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: « إياكم و الظن، فإن الظن أكذب الحديث، و لا تحسسوا، و لا تجسسوا و لا تحاسدوا و لا تباغضوا و لا تدابروا و كونوا عباد الله إخوانا»(2).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال:« دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر و لكن تحلق الدين »(3)، و الشاهد في الحديث أن داء الحسد والبغضاء لا يسري في جسم الأمة إلا بعد تنازع أفرادها واختلافهم.

إن انتشار العداوة و البغضاء بين أفراد الأمة سيؤدي حتما إلى تفككهم إلى فرق وطوائف متناحرة.

المطلب الثاني: انقسام الأمة و تفرقها .

نهى القرآن نهيا صريحا قاطعا عن التنازع و التفرق، يقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَـٰكِنَّ اللَّـهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾(4).

ففي الآية تحذير للمسلمين من الاختلاف و نهيهم عنه وإنذارهم بالعذاب عليه في الدنيا والآخرة، وقد امتثلوا أمره تعالى بالاتحاد و الاعتصام، وانتهوا عما نهاهم عنه من التفرق والاختلاف في عصر صاحب الرسالة وطائفة من الزمن بعده فكانوا خير أمة أخرجت للناس، ثم لم يلبثوا أن ذهبوا في الدين مذاهب، و فرقوا دينهم فكانوا في شريعته مشارب، فاقتتلوا في الدين قليلا و في السياسة التي صبغوها بصبغة الدين كثيرا، و قد تمادوا في هذا الشقاق و الاختلاف فانتهوا إلى زمن صاروا فيه أبعد الأمم عن الاتفاق والائتلاف(5).

---

(1)- تفسير المنار لرشيد رضا، (18/4، 19) .

(2)- سبق تخريجه، ص27 .

(3)- أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب، رقم 2510، قال الألباني: حسن. ينظر: سنن الترمذي.

(4)- البقرة: 253.

(5)- ينظر: تفسير المنار لرشيد رضا، (7/3، 8).

ويبيّن تعالى سوء عاقبة التفرق والاختلاف كما حصل للأمم السالفة حيث قال: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(1).

إنّ الاختلاف المقصود في الآية و ما ينشأ عنه هو كله أثر للتفرق، أما الوعيد المذكور في الآية فيشمل خسران الدنيا والآخرة، فأما عذاب الدنيا فهو أن المتفرقين المختلفين الذين اتبعوا أهوائهم، وحكّموا في دينهم آرائهم يكون بأسهم بينهم شديدا، فيشقى بعضهم ببعض ثم يبتلون بالأمم الطامعة في الضعفاء فتذيقهم الخزي والنكال، وأما عذاب الآخرة فقد بين الله في كتابه أنه أشد من عذاب الدنيا وأبقى(2).

و وردت في القرآن الكريم آية تدل على أن سنن الله ماضية في الأمم وإن نزلت في سياق إنذار مشركين مكة و إقامة الحجة عليهم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(3)، يقول تعالى:﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾"(4).

في الآية إنذار بأن عاقبة كفر النعم أن تزول وتحل محلها النقم، و المعنى قل يا أيها الرسول لقومك ومن ورائهم من الكافرين بنعم الله و لا يشكرون له ما منّ به من النعم وأسداه، و من الذين يتنكّبون سنن الله ويختلفون في الكتاب بعد أن هداهم به الله فهو القادر على أن يثير و يرسل عليكم عذابا تجهلون كنهه فيصبه عليكم من فوقكم، أو يثيره من تحت أرجلكم أو يلبسكم ويخلطكم فرقا وشيعا، مختلفين على أهواء شتى، كل فرقة منكم تشايع إماما في الدين أو تتعصب لملك أو رئيس، ويذيق بعضكم بأس بعض وهو ما عنده من الشدة و المكروه في السلم والحرب(5)، و كل هذه المعاني المذكورة في الآية نراها تنطبق على أمتنا اليوم لأنها بدلت نعمة الوحدة و الاعتصام بالفرقة والاختلاف، فأصبحت فرقا وطوائفا تتناحر وتتنازع فيما بينها، و يدل على حصول ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبل ذات يوم من العالية حتى مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه،و دعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال صلى الله عليه وسلم: « سألت ربي ثلاثا،

---

(1)- آل عمران: 105.

(2)-ينظر: تفسير المنار لرشيد رضا، (40/4، 41).

(3)- المصدر نفسه، (410/7).

(4)- الأنعام : 65.

(5)- المصدر السابق، (408/7).

فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، و سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، و سألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»(1).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال النبي صلى الله عليه و سلم:« أعوذ بوجهك فقال:أو من تحت أرجلكم، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: أعوذ بوجهك قال: أو يلبسكم شيعا، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: هذا أيسر»(2).

ويؤكد القرآن الكريم في نفس السورة براءة النبي صلى الله عليه و سلم من الأقوام التي تفرقت وأصبحت فرقا وطوائفا كما فعلت اليهود والنصارى، و تفعله أمته من بعده، فقال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّـهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾(3).

في الآية تذكير من الله لهذه الأمة بما هي عرضة له بحسب سنن الاجتماع من إضاعة الدين بعد الاهتداء به بمثل ما أضاعه به من قبلهم، و هو الاختلاف والتفرق فيه بالمذاهب والآراء والبدع التي تجعلهم أحزابا و شيعا تتعصب كل منها لمذهب من المذاهب أو إمام فيضيع العلم وتنفصم عروة الوحدة للأمة الواحدة بعد أخوة الإيمان، فتصبح أمة متعادية ليس لها مرجع متفق عليه يجمع كلمتها فيحل بها ما حل بالأمم التي تفرقت قبلها(4).

ويشمل التفرق في الدين التفرق في أصوله و فروعه و حكومته، و تولي أهله بعضهم بعضا، فعصبية المذاهب الكلامية والفقهية كلها داخلة في ذلك، كعصبية الخلافة والملك، و العصبية الجنسية التي تفرق بين العربي والتركي والفارسي والهندي والملاوي بحيث يعادي المسلمون بعضهم بعضا و يقاتل بعضهم بعضا، وفي الآية تحذير لأمة الرسول صلى الله عليه وسلم من فعل أهل الكتاب وصفاتهم القبيحة، وختمت الآية ببيان جزاء مفارقة الدين في الدنيا بما مضت به سنته في الاجتماع البشري من ضعف

---

(1)- أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم 2890.

(2)- أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم، رقم 4628، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: أو يلبسكم شيعا، رقم 7313، وفي كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾، رقم 7406.

(3)- الأنعام: 159.

(4)- تفسير المنار لرشيد رضا، (188/8).

المتفرقين، وفشل المتنازعين وتسلط الأقوياء عليهم، بما تثيره عداوة التفرق بينهم من التقاتل والحروب، وبعد تعذيبهم بأيديهم وأيدي أعدائهم في الدنيا يبعثهم في الآخرة، ثم ينبئهم عند الحساب بما كانوا يفعلون في الدنيا من الاختلاف والتفرق بتفريق الدين، أو مفارقته إتباعا للأهواء وما يستلزم ذلك ويجازيهم عليه في النار(1).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه و سلم بافتراق الأمة على فرق كثيرة لا ينجو منها إلا واحدة، فعن عوف بن مالك قال:" قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:"و الذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث سبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة"(2).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «... وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين و سبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله ؟ قال: ما أنا عليه و أصحابي»(3). ففي كلا الحديثين دلالة واضحة على أن أهل السنة و الجماعة هي الفرقة الناجية التي اعتصمت بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

إنّ الناظر إلى حال الأمة من الافتراق و التنازع أدى بها إلى الضعف و الفشل ثم من بعدهما إلى الهلاك.

المطلب الثالث: ضعف الأمة و هلاكها.

مضت سنة الله تعالى في الأمم أن الاختلاف والتنازع من أسباب ضعفها وهلاكها لما يورثه هذا التنازع من الفرقة والتشتت وعدم التناصر فيما بين المختلفين، وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة

---

(1)-تفسير المنار لرشيد رضا، (190/8، 191).

(2)- أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم رقم 3992، تع: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، الرياض، د. ت، قال الألباني: صحيح. ينظر: سنن ابن ماجه.

(3)- أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم 2641، قال الألباني: حسن. ينظر: سنن الترمذي.

بمجموعها يجرئ العدو عليها فيطمع العدو فيها فيغصب أراضيها و يستولي على خيراتها ويطمس شخصيتها فتضعف ومن ثم تهلك(1).

و يبين القرآن الكريم هذه السنة الإلهية في قوله تعالى:﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّـــهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾(2).

قال الطبري(3): "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم و رسوله فيها أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفهما في شيء،"ولا تنازعوا فتفشلوا"،يقول: ولا تختلفوا فتفرقوا و تختلف قلوبكم، "فتفشلوا" يقول: فتضعفوا و تجبنوا، "وتذهب ريحكم"... وتذهب قوتكم و بأسكم، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل"(4).

ففي الآية أمر بطاعة الله والرسول ونهي عن الاختلاف المفضي إلى التنازع الذي نتيجته الضعف والجبن وذهاب القوة و البأس فينتشر الوهن والخلل بين أفراد الأمة، و من آثار التنازع واختلاف الآراء ذهاب التناصر فيما بين أفراد الأمة فيصيبهم الخور فتتلاشى دولتهم، حيث جاء في محاسن التأويل:" ولا تنازعوا أي باختلاف الآراء، أو فيما أمرتم به، " فتفشلوا " أي تجبنوا إذ لا يتقوى بعضكم ببعض "وتذهب ريحكم" أي قوتكم وغلبتكم ونصرتكم و دولتكم"(5).

و يسوق رشيد رضا معنى آخر للفشل وهو الخيبة و النكول عن إمضاء الأمر و يضيف مبينا أن أصل التنازع كالمنازعة وهي المشاركة في النزع وهو الجذب، كأن كل واحد من المتنازعين يريد أن ينزع ما عند الآخر من رأي و يلقي به، ثم يشير إلى وجود صورة بيانية في الآية وهي استعارة الريح للقوة والغلبة إذ لا يو جد في الأجسام ما هو أقوى منها(6).

---

(1)- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ، ص 138، 139.

(2)- الأنفال: 46.

(3)- هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، ولد سنة 224هـ بطبرستان، مفسر و مؤرخ و حافظ وفقيه، من أشهر مؤلفاته: جامع البيان في تأويل القرآن، أخبار الأمم وتاريخهم، تهذيب الآثار، اختلاف علماء الأمصار، التبصير، وغيرها، توفي سنة 310هـ ببغداد. ينظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 1427هـ، (165/11، 166، 168، 174).

(4)- جامع البيان لابن جرير الطبري، (575/13، 576).

(5)- ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، (305/5).

(6)- ينظر: تفسير المنار لرشيد رضا، (23/10).

وبيّن ابن عاشور آثار التنازع فقال:" وإنما كان التنازع مفضيا إلى الفشل لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضا، وتوقع عدم إلفاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو(1).

وفي الآيات كذلك تعليم من الله لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، وهي قواعد ضرورية في الحروب وأسس للجندية الحقة الحازمة ومن بين هذه القواعد والآداب أدب وحدة الصف والكلمة والهدف، وعدم التنازع والاختلاف، فإن توحيد الصف والكلمة أمر أساسي عند لقاء العدو، والتنازع والاختلاف مدعاة للفشل والجبن والخيبة وتغلب العدو كما أن التنازع مهدر للطاقات، ومقوّض لبنية الجماعات، وسبيل لإذهاب الحماسة، وتبديد القوة، والعصف بوجود الدولة، وإزالة روح الإقبال والإقدام، فلقد هلكت الأمم باختلافها وكثرة آرائها واعتراضاتها(2).

ويحذر الله عز وجل المؤمنين من أن يكون مصيرهم مثل مصير اليهود و المنافقين من الشتات والفرقة عند لقاء العدو فقال:﴿ **لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ** ﴾(3).

قال المراغي(4):" أي إن هؤلاء اليهود و المنافقين قد ألقى الرعب في قلوبهم، فلا يواجهونكم بقتال مجتمعين لأن الخوف و الهلع بلغا منهم كل مبلغ، بل يقاتلونكم في قرى محصنة بالدروب والخنادق ونحوها، ومن وراء الجدر والحيطان و هم محاصرون ثم بين أن من أسباب هذا الجبن والخوف و التخاذل وعدم الاتحاد حين اشتداد الخطوب قال:" بأسهم بينهم شديد " أي بعضهم عدو لبعض، فلا يمكن أن يقاتلوا عدوا لهم وهم في تخاذل و انحلال، ومن ثم استكانوا وذلوا وفي هذا عبرة للمسلمين في كل زمان ومكان، فإن الدولة الإسلامية ما هدّ كيانها، وأضعفها أمام أعدائها إلا تخاذلها أفرادا وجماعات، وانفراط عقد وحدتها، ثم طمع الأعداء في بلادهم ودخلوها فاتحين وأذاقوا أهلها كؤوس الذل والهوان وفرقوهم

---

(1)- التحرير و التنوير لابن عاشور، (31/10).

(2)- ينظر: التفسير المنير للزحيلي، (23/10، 25).

(3)- الحشر: 14.

(4)- هو أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، تخرج بدار العلوم سنة 1909م، و عين مدرسا بها، و ولي نظارة بعض المدارس، و عين أستاذا للغة العربية و الشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، من مصنفاته: تفسير المراغي، الوجيز في أصول الفقه، علوم البلاغة، الحسبة في الإسلام، توفي بالقاهرة سنة 1371هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، (258/1).

شذر مذر، وجعلوهم عبيدا أذلاء في بلادهم والتهموا ثرواهم و لم يبقوا لهم إلا النفاية وفتات الموائد، ولله الأمر من قبل ومن بعد، و عسى الله أن يأتي بالفتح أو نصر من عنده، فيستيقظ المسلمون من سباهم، ويثوبوا إلى رشدهم، فيستعيدوا سابق مجدهم، و تدول الدولة لهم"(1).

ويخبرنا رسولنا الكريم أن الاختلاف من أسباب هلاك الأمم في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رجلا قرأ آية، و سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقرأ خلافها فجئت به النبي صلى الله عليه و سلم فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، و قال:" كلاكما محسن، ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" (2)، قال ابن تيمية:" نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه و علل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا "(3).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، و ليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم و ليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا و كراهية الموت»(4).

---

(1)- تفسير المراغي، (28/ 49، 50).

(2)- أخرجه البخاري في كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص و الخصومة بين المسلم و اليهود، رقم 2410، و في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار، رقم 3476، و في كتاب فضائل القرآن، باب اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، رقم 5062

(3)- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، (143/1، 144).

(4)- أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام،رقم 4297، تع: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، الرياض، د ت، قال الألباني: صحيح. ينظر: سنن أبي داود.

و يوضّح البيضاوي(1) عند شرحه للحديث أن مصير الأمة آخر الزمان- من تكالب الأعداء عليها لما فيها من الهوان و الذل- الإبادة و الهلاك فيقول:" يريد بالأمم: أرباب الملل المغايرة للإسلام الضالين عن الهدى، يدعو عليكم بعضهم بعضا ليقاتلوكم، فيبيدونكم و يكسرون شوكتكم ويستردون عنكم ما فتح الله عليكم من الديار والأموال، كما تداعى أكلة الطعام بعضهم بعضا إلى الصحفة، فيتناولن ما فيها بلا وازع ولا مدافع"(2).

فهذه أهم الآثار الوخيمة للفرقة و التنازع التي أرشدنا إليها القرآن الكريم، فحري بالأمة أن تعيها و تبتعد عن موجباتها، ليسدل الله تعالى عليها شآبيب رحمته، و يمن عليها بواسع نعمه، و ما ذلك على الله بعزيز وهو حسبنا و نعم الوكيل.

---

(1)- هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ناصر الدين أبو الخير البيضاوي، قاضي القضاة بشيراز كان إماما فقيها حافظا ومفسرا، من مؤلفاته: أنوار التنزيل في أسرار التأويل، طوالع الأنوار، شرح الكافية، الغاية القصوى، شرح المصابيح،تهذيب الأخلاق، شرح المحصول، وشرح المنتخب، توفي بمدينة تبريز سنة 671هـ. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، الطبقة الثانية و العشرون، تح: عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ، (172/2، 173).

(2)- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنن للبيضاوي، تح: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الكويت، د.ط، 1433هـ، (313/3).

خاتمة

من خلال هذا البحث المتواضع توصلت إلى النتائج و الآفاق التالية:

أما النتائج فهي كالتالي:

1- الوحدة الإسلامية مقصد قرآني و ضرورة اجتماعية.

2- نهضة الأمة و تفوقها الحضاري مرهون بوحدتها.

3- أم ة القرآن هي الأمة التي تدرك أهمية الوحدة و تعي مخاطر الفرقة.

4- ترسيخ مقومات الوحدة أمر يقع على عاتق الأمة أفراد و جماعات، مؤسسات و هيئات.

أما الآفاق فهي كالتالي:

1- ضرورة عقد مؤتمرات و ندوات وملتقيات من أجل إيجاد آليات عملية لتفعيل وحدة الأمة.

2- إقامة جامعة إسلامية بين جميع الدول الإسلامية تمهيدا للوحدة الاقتصادية ووصولا إلى الوحدة السياسية.

هذا ما تيسر لي إيراده في هذه المذكرة، فما كان لي فيها من توفيق فمن الله وحده، و ما كان لي فيها من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي، و الله و رسوله بريئان و صل اللهم و سلم على محمد و آله و صحبه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿الفهارس العامة﴾

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس المصادر و المراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيات	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾	151	25
	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾	176	50
	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَـٰكِنَّ اللَّـهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾	253	51
	﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	285	19
آل عمران	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	103	22-44-46-50
	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	104	31
	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	105	52
النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	59	20
المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	02	29

الأنعام	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾	65	52
	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّـهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	159	53
الأنفال	﴿وَأَطِيعُوا اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	46	55
	﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّـهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّـهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	62 63	45
التوبة	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّـهِ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	60	39
	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	71	32
إبراهيم	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّـهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	04	34
النحل	﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	90	23
	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّـهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّـهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	91	25

الأنبياء	﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾	92	41-19
الحج	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّـهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّـهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾	77 78	37
النور	﴿ وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	55	48
الشعراء	﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	-192 -193 194 195	35
الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	10	28
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾	-11 12	26
الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	56	41

الحشر	﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾	14	56
المنافقون	﴿وَلِلَّـــهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـــٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	08	46
القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	04	23

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
أتدرون ما الغيبة	أبو هريرة	26
أحب الناس إلى الله	عبد الله بن عمر	30
أعوذ بوجهك	جابر بن عبد الله	53
إنما بعثت لأتمم	أبو هريرة	23
إياكم و الظن	أبو هريرة	51-27
دب إليكم داء الأمم	الزبير بن العوام	51
زويت لي الأرض	ثوبان	48
سألت ربي ثلاثة	سعد بن أبي وقاص	53
سووا صفوفكم	أنس بن مالك	39
كلاكما محسن	عبد الله بن مسعود	57
لا تسوّن صفوفكم	النعمان بن بشير	39
لا يصلين أحد العصر	عبد الله بن عمر	22
المؤمن للمؤمن	أبو موسى الأشعري	47-46
مثل القائم في حدود الله	النعمان بن بشير	33
مثل المؤمنين في توادهم	النعمان بن بشير	45-30
مروا بالمعروف	عائشة	32
المسلم أخو المسلم	عبد الله بن عمر	30
و الذي نفس محمد بيده	عوف بن مالك	54
و الله لا يتمن الله هذا	خباب بن الأرت	49
و إن بني إسرائيل	عبد الله بن عمر	54
يا أيها الناس	أبي سلمة	35
يا معاذ أتدري	معاذ بن جبل	42
يد الله مع الجماعة	عبد الله بن عباس	47
يوشك الأمم	ثوبان	57

فهرس الأعلام المترجم لهم

الأعلام	اسم الشهرة	الصفحة
محمد رشيد بن علي رضا	رشيد رضا	16
محمد بن أحمد بن أبي بكر	القرطبي	21
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد	ابن العربي	22
الحسين بن مسعود الفراء الشيخ	البغوي	32
محمد بن علي بن محمد بن عبد الله	الشوكاني	33
محمد الطاهر بن عاشور	ابن عاشور	35
عبد الحميد بن مصطفى بن مكي بن باديس	ابن باديس	36
محمود بن عمر بن محمد بن عمر	الزمخشري	47
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير	الطبري	55
أحمد بن مصطفى	المراغي	56
عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ناصر الدين	البيضاوي	58

فهرس المصادر و المراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. آثار ابن باديس، تح: عمار طالبي، دار و مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1388هـ.
2. أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، مراجعة وتعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424هـ.
3. الأخلاق الإسلامية و أسسها لعبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، 1420هـ.
4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1414هـ.
5. أصول المجتمع الإسلامي لجمال الدين محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ.
6. أضواء على الثقافة الإسلامية لنادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة،بيروت، الطبعة التاسعة، 1422هـ.
7. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، 1413هـ.
8. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، 1419هـ.
9. أنوار التنزيل و أسرار التأويل للبيضاوي، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.
10. تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1415هـ.
11. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، د ط، 1405هـ.
12. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنن للبيضاوي، تح: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الكويت، د.ط، 1433هـ.

13. تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ.

14. التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان لمحمد فهمي علي أبو الصفا، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الثانية، 1397هـ.
15. التفسير الحديث لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د ط، 1383هـ.

16. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تح: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، 1420هـ.
17. التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، د ت.
18. تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1365هـ.
19. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، د ط ، 1410هـ.
20. التفسير المنير لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ.

21. التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1419هـ.
22. التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ.

23. التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ.
24. جامع البيان لابن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ.
25. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ.
26. حجة الله البالغة لأحمد الدهلوي، تح: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ.

27. الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب لابن فرحون اليعمري، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت.
28. الرسالة التبوكية لابن قيم الجوزية، تح: أبو أسامة بن عيد الهلالي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ.

29. روح المعاني للألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

30. زاد المسير لابن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

31. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى،ج 1-4/1415هـ، ج 6/1416هـ، ج 7/ 1422هـ.

32. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة لمحمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ.

33. سنن ابن ماجه، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، الرياض، د.ت

34. سنن أبي داود، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، الرياض، د ت

35. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ.

36. سنن الترمذي، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، د ت

37. سنن الله في إحياء الأمم لحسين شرفة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ.

38. سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، د ط، 1427هـ.

39. صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

40. صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت.

41. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، الطبعة الثانية، 1413هـ.

42. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، الطبقة الثانية والعشرون، تح: عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ.

43. العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين لعلي عبد اللطيف منصور الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة عشر، العدد 61، محرم، صفر، ربيع الأول، 1404هـ.

44. العبادة في الإسلام ليوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة والعشرون، 1413هـ.

45. عقيدة أهل السنة والجماعة-مفهومها وخصائصها وخصائص أهلها- لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الثانية، 1419 هـ.
46. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ط، د ت.
47. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ .
48. فتح البيان لمحمد صديق خان، راجعه عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د ط، 1412هـ.
49. فتح القدير للشوكاني، دار ابن كثير دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ.
50. في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ.
51. قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتاب أدب الدنيا و الدين لعلي خليل مصطفى، دار المجتمع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1411هـ.

52. الكليات لأبي البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، د ت.
53. كيف تستعيد الأمة مكانتها من جديد لعمر سليمان الأشق، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية، 1414هـ
54. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
55. مجالس التذكير من حديث البشير النذير لعبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الطبعة الأولى، 1403هـ.
56. مجموعة رسائل شرح الصدور بتحريم رفع القبور، و رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة، والدواء العاجل لدفع العدو الصائل للشوكاني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة و الأربعون، 1410هـ.

57. محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418ه
58. المحرر الوجيز لابن عطية، تح: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422ه.
59. مختار الصحاح لزين الدين الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية – بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، 1420ه.
60. مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، و آخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت،
61. مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تح: حبيب الرحمان الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403ه.
62. معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه لعبد الرحمان الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثامنة و العشرون، 1417- 1418ه.
63. معالم التتريل في تفسير القرآن للبغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420ه .
64. المعجم الأوسط للطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د ط، د ت .
65. معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429ه
66. مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420ه .
67. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1412 ه .
68. مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة لعبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1427ه .
69. مقاليد العلوم في الحدود والرسوم لجلال الدين السيوطي تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424ه .
70. مقاييس اللغة لابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، د ط، 1399ه .

71. نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع لمصطفى ديب البغا، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1418 ه .

72. الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، الطبعة الأولى، 1428ه .

73. الوحدة الإسلامية أسسها و وسائل تحقيقها لأحمد بن سعد حمدان الغامدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السابعة عشر، العدد 65-66 محرم، جمادى الآخرة، 1405ه .

74. وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1415ه.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الإهداء

الشكر و التقدير

مقدمة .... أ–ه

مدخل عام: ضبط المصطلحات

المبحث الأول : تعريف الأسس 11

المطلب الأول : لغة 11

المطلب الثاني : اصطلاحا 11

المبحث الثاني : تعريف الحفظ 11

المطلب الأول: لغة 11

المطلب الثاني : اصطلاحا 12

المبحث الثالث : تعريف وحدة الأمة 13

المطلب الأول: تعريف الوحدة 13

الفرع 1 : لغة 13

الفرع 2: اصطلاح 13

المطلب الثاني: تعريف الأمة 14

الفرع 1 : لغة 14

الفرع 2: اصطلاحا 14

المطلب الثالث : تعريفهما كمركب إضافي 15

الفصل الأول : أسس حفظ وحدة الأمة

المبحث الأول : أسس المرجعية 18

المطلب الأول : وحدة العقيدة 18

المطلب الثاني: وحدة الشريعة 20

المطلب الثالث:وحدة القيم الخلقية 23
المبحث الثاني : أسس الجماعة المسلمة 27
المطلب الأول : الأخوة الإيمانية 27
المطلب الثاني : التعاون على البر و التقوى 29
المطلب الثالث : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر 31
المبحث الثالث : أسس الانتماء للأمة 34
المطلب الأول : وحدة اللسان 34
المطلب الثاني : وحدة أداء العبادات الجماعية 37
المطلب الثالث : وحدة الغاية 40

الفصل الثاني : ثمرات الوحدة و آثار التنازع

المبحث الأول: ثمرات الوحدة 44
المطلب الأول: تحقيق الألفة و المحبة 44
المطلب الثاني: تحقيق القوة و المنعة 46
المطلب الثالث: تحقيق التمكين و الاستخلاف 48
المبحث الثاني: آثار التنازع 50
المطلب الأول: ظهور العداوة و البغضاء 50
المطلب الثاني: انقسام الأمة و تفرقها 51
المطلب الثالث: ضعف الأمة و هلاكها 54
خاتمة 60

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية 62
فهرس الأحاديث النبوية 66
فهرس الأعلام المترجم لهم 67
فهرس المصادر و المراجع 68
فهرس الموضوعات 67

ملخص الرسالة

تناول القرآن الكريم أهم الأسس التي تحفظ الأمة وحدتها فتحدث عن أسس المرجعية و تمثلت في وحدة العقيدة و وحدة الشريعة و وحدة القيم الخلقية، كما تحدث عن أسس الجماعة المسلمة و تمثلت في الأخوة الإيمانية و التكافل الاجتماعي و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و نبّه على أسس الانتماء الوجداني وهي وحدة اللسان، و وحدة أداء العبادات الجماعية، و وحدة الغاية.

كما تطرق القرآن الكريم إلى ثمرات الوحدة و عواقب الفرقة، فكانت أهم الثمرات تحقيق الألفة و العزة و التمكين في الأرض، أما عواقب الفرقة فتمثلت في العداوة و البغضاء و انقسام الأمة ثم ضعفها و هلاكها.

الكلمات المفتاحية:

أسس- حفظ -وحدة - أمة - ثمرات .